إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

العدد الرابع
٢٨ شعبان ١٣٨٧هـ

المجلد الثانى عشر
أول ديسمبر ١٩٦٧م

Phone 22948 Regd No. L. 1692

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwatul Ulama, Lucknow. (India)

إلى الإسلام من جديد

جربنا القومية العربية و الاشتراكية العربية و البعث العربى و « الانسان العربى الجديد » و رفعنا لواء العروبة الخالدة المجردة عن الدين وتغنينا بالحضارات الفرعونية القديمة و افتخرنا بتاريخ « ٧ آلاف سنة » واعتمدنا على الدول الاشتراكية «الصديقة» ولكن هذه الشعارات والهتافات و الصداقات و العلاقات خذلتنا فى الميدان و هجرتنا عند ساعة الامتحان.

فليكن شعارنا و هتافنا من الآن « إلى الاسلام من جديد » إلى الاسلام الذى انتصر على الرومان و الفرس ، و على التتار و الصليبيين ، وأنقذ فلسطين ، وهو الضامن الكافل بالانتصار فى كل معركة فى كل وقت فى كل مكان.

قولوا « نعم » - ولو مرة واحدة - للاسلام يعطكم كل ماتنشدونه من الكرامة و العزة و المجد و الخلود ، و يعد إليكم درتكم المفقودة ومكانتكم المحسودة ، مكانة القيادة و التوجيه و الوصاية و الهداية .

سماحة الأستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى يشرح هذه القضية الهامة فى كتابه الهام .

إلى الاسلام من جديد !

هتاف العرب و دعوتهم فى كل مكان من الآن !

الناشر : دار الارشاد للطباعة و النشر و التوزيع (بيروت)
يطلب من مكتبة دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

Printed by S. M. HASANI at Nadwa Press, LUCKNOW

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

عنوان الادارة: البعث الاسلامى ، دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

الهاتف ٢٩١٧٤ — ٢٢٩٤٨

برقياً NADWA, LucknoW.

الاشتراكات

فى الهند و باكستان : —

عشر رويات ثمن العدد روية واحدة .

فى العالم العربى : —

(بالبريد العادى) جنيه واحد (استرلينى)

(بالبريد الجوى) جنيهان و نصف (استرلينى)

فى أفريقيا الجنوبية و الشمالية : —

(بالبريد العادى) جنيه واحد (استرلينى)

(بالبريد الجوى) ثلاثة جنيهات ونصف (استرلينى)

مطلوب وكلاء و موزعون فى كل بلد إسلامى و و فى المهاجر ، و فى كل قطر مركزياً كان أم غربياً — تعيش فيه الجالية الاسلامية .

● الاشتراكات فى باكستان ترسل إلى مجلة « البلاغ » دار العلوم كراچى رقم ١٤ باكستان

● نرجو تزويدنا بآخر ما يقع من حوادث و أنباء إسلامية فى الوطن الاسلامى الكبير بأسرع ما يمكن مع وافر الشكر !

وكالات المجلة

- مكتبة المنار الكويت
- مكتبة الآداب الرياض السعودية
- مكتبة النور طرابلس الغرب ليبيا
- المكتبة الوطنية الزاوية ليبيا
- مكتبة الثقافة الدوحة قطر
- مدثرحسين الصديق الجامعة الاسلامية المدينة المنورة السعودية
- الدار السعودية للنشر ص ب ٢٠٤٣ جده (السعودية)
- الأستاذ محمد الأمين دعاك كسلا السودان
- مكتبة الحضارة الاسلامية حلب — سوريا
- مكتبة الحرمين ص ب ٥١١ الدمام (السعودية

شهرية أدبية إسلامية

تصدر عشرة أعداد

البعث الإسلامي

العدد الرابع — المجلد الثانى عشر

٢٨ شعبان ١٣٨٧هـ — ديسمبر ١٩٦٧م

رئيس التحرير : محمد الحسني

مدير التحرير : سعيد الأعظمي

موجز الفهرست

— التوجيه الاسلامى ص ١٣

— الدعوة الاسلامية ص ٢٩

— الفقه الاسلامى ص ٤٥

— دراسات و أبحاث ص ٦٢

— فى رياض الشعر و الأدب ص ٧٤

— المرأة ص ٨٣

— العالم الاسلامى ص ٨٩

(ندوة العلماء)

قامت ندوة العلماء على مبدء الجمع بين الدين الخالد الذى لايتغير و بين العلم النامى الذى لايتحجر، بين صلابة الحديد فى الثبات على العقيدة ، وبين نعومة الحرير فى اقتباس العلوم النافعة ، فبينما العالم الدينى فى عقيدته و عبادته جبل ثابت ، إذا هو فى علمه ودراسته و تقدمه نهر عذب جار ، و بينما هو فى نصوص الدين و عزائمه مرابط على الثغر و حارس للامانة ، إذا هو فى تفهيمه و دعوته جندى مهاجم و مسلح على أحدث طراز ، و بينما هو فى الأول لا يعرف الهوادة إذا هو فى الثانى لا يعرف الجمود ؟

محتويات العدد

درس من شهر رمضان	سعيد الاعظمى الندوى	٣
موئل الانسانية وأمة المستقبل	سماحة الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى	٨

التوجيه الاسلامى

صفوة الآثار والمفاهيم	فضيلة الشيخ عبد الرحمن الدوسرى	١٤
خطورة الكلمة فى مجتمع الجاهلية الجديدة	الأستاذ منير الكش	٢١
مكانة الدولة فى الشريعة الاسلامية	فضيلة الشيخ محمد اسحق الندوى	٢٦

الدعوة الاسلامية

القرآن يدعو إلى دراسة الكون	الدكتور محمد رفيع الدين	٣٠
الحرية فى الاسلام	الأستاذ محمد جلال كشك	٣٨

الفقه الاسلامى

القطائع فى الاسلام	الأستاذ محمد تقى الأمينى	٤٦
الجنسية فى الشريعة الاسلامية	الدكتور عبد الكريم زيدان	٥٥

دراسات و ابحاث

التطور والثبات فى حياة البشرية	ابن المحيط (حلب)	٦٣

فى رياض الشعر والأدب

عالم الحب (شعر)	محمد بهار	٧٥
كلام فارغ ، تمثله مشاهد أربعة	الأستاذ أبو بكر الحسنى	٧٧

المرأة

هذه هى المرأة الغربية	فضيلة الشيخ محمد ناظم الندوى	٨٤

العالم الاسلامى

محنة المسلمين فى بورما	الأستاذ عبد الباسط	٩٠
بيان حول قضية فلسطين	المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى	٩٤
أخبار اجتماعية وثقافية	قلم التحرير	٩٨

ملحق العدد

إلى القيادة العالمية من جديد

ايها العرب

« محاضرة ألقاها سماحة الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى فى نادى الوحدة الرياضى بمكة المكرمة فى الاثنين الأول من شعبان ١٣٨٧هـ ، و قد حضر الحفلة عدد كبير من أعيان البلد ، و الأدباء و الصحفيين وأساتذة الكليات و رجال المعارف و الشباب المثقف .

و كانت قيمة المحاضرة تقتضى أن يتصدر بها هذا العدد و لكنها وصلتنا حينما كانت المجلة ماثلة للصدور ، فجعلناها ملحقاً قيماً لهذا العدد .

(التحرير)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى ! أما بعد

سادتى و إخوانى ! يسرنى و يسعدنى أن أتحدث فى نادى الوحدة الرياضى لأن الرياضة سواء كانت رياضة بدنية أو رياضة فنية تقوم على الاعتراف بالواقع ، وتقرير الحقائق ، وتحكيم العقل والمنطق ، والتجربة والاختبار ، إنها تعتمد على واقع الحياة ، والحقائق الراهنة ، وعلى التجارب المتواصلة أكثر مما تعتمد على المعانى الشعرية و الأخيلة البديعة ، و الاسترسال فى الأوهام و الأحلام .

و أعتقد أن الايمان بالله ، و أن الدين الحق يلتقيان مع الفكرة الرياضية ، و بالأصح مع النفسية الرياضية أكثر مما يلتقيان مع الخيال و الشعر ، و الخطابيات و التخيلات ، إنما يلتقيان على الجد و الصرامة ، و على الحيوية و الواقعية ، و نحن المسلمين اليوم بصفة عامة و العرب بصفة خاصة فى حاجة ملحة إلى هذه الطبيعة الرياضية .

إننا نزعم أننا مسلمون فلنكن مسلمين حقيقيين ، مسلمين فى الحقيقة لا فى الصورة . إن قضية الذين يؤمنون بالدين الحق - أيها السادة - تختلف عن قضية الذين لا يؤمنون بهذا الدين اختلافاً كبيراً ، إن الذين يؤمنون بالدين الحق يجب عليهم أن يخلصوا لهذا الدين ، و أن يتمكسوا بلباب هذا الدين و بحقيقته ، و بمقدار ما يتمكسون به و يخلصون له و يجدون فى سبيله يستحقون النتائج التى وعد بها الله الذى أنزل هذا الدين ،

واختار هذا الدين ، والنصر الذى تكفل به . نقرأ فى القرآن أن الله تبارك و تعالى قد طلب من اليهود أن يكونوا متمسكين بدينهم ، مخلصين فى دينهم صادقين ، آخذين باللباب غير القشور ، و بالحقيقة لا بالصورة و الاسم ، وجعل تمسكهم بالدين المقياس الحقيقى و الميزان العدل فقال « قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة و الانجيل و ما أنزل إليكم من ربكم » و قال « و لو أنهم أقاموا التوراة و الانجيل و ما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » و قد عاقبهم على انحرافهم عن دينهم الذى اختاره لهم ، و الذى احتضنوه و زعموه ، عقوبة شديدة فقال « إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم و ذلة فى الحياة الدنيا و كذلك نجزى المفترين »

فنحن المسلمين و نحن العرب بصفة خاصة ، إذا انحرفنا عن هذا الدين أو تمسكنا به صوريا و اسميا فقط لا حقيقياً لم نستحق نصر الله ، و لم نستحق ما وعد الله به من الشرف ، فمصير الأجيال التى تدين بدين ، مرتبط بهذا الدين ، تتشرف هذه الأجيال و تنتصر فى المعركة بمقدار ما تتمسك بهذا الدين ، إن وضعنا - أيها السادة ، أيها الاخوة الكرام - كما قلت يختلف عن وضع الأمم التى لا تدين بهذا الدين .

إننا لما قبلنا هذا الدين و التزمناه و أعلنا أننا مسلمون وجب أن نكون مسلمين ، و أن ندخل فى السلم كافة ، و أن نعطى القياد للاسلام ، و أن نحقق فينا صفات المسلمين و أخلاقهم ، وجب أن نكون مسلمين فى الحقيقة ، فى اللباب ، فى الروح ، و إن معاملة الله تبارك و تعالى على الحقيقة لا على الصورة ، كما نجرب كل يوم ، إن صورة أى دين حق ،

إن صورة أى معنى من المعانى ، و أى حقيقة من الحقائق لا تغنى ، لقد قال الله تبارك و تعالى : و إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، و إن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم أنى يؤفكون »

فوضعنا الحاضر أننا ندعى هذا الدين ، أننا ندعى أننا مسلمون ، و نطلب من الله أن يعاملنا كمسلمين ، و أن تتحقق تلك الوعود و تلك النتائج التى قرأنا أمثلتها الرائعة فى التاريخ ، و لكننا ننسى أو نتناسى أن هذه النتائج كانت - ولاتزال - تابعة للأسباب الطبيعية ، تابعة للمقدمات الصحيحة ، فالماء ماء يروى و يشفى ، و الطعام غذاء يشبع و يغذى ، و الدواء دواء ينجع و يبرىء إذا كان على حقيقته ، فالماء لا يروى إذا لم يكن ماء ، وكان صورة للماء ، أو سراباً بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، والنار إذا كانت صورة مجردة ، مهما كانت هذه الصورة دقيقة وصادقة ، فاننا لا نستطيع أن نستدفئ بها ، وأن نكتسب منها الحرارة أو النور ، و هذه طبيعة الأشياء و نظام الكون الذى يتحكم فى هذا العالم .

إن كل ذنبنا وخطئنا أننا طلبنا من الصور مالاتعطيه إلا الحقائق ، فكل هزائمنا وكل نكباتنا راجعة إلى أننا توقعنا من الصور ، توقعنا من الأسماء ، توقعنا من المظاهر ، توقعنا من الدعاوى ، توقعنا من الكلمات ، تلك النتائج الحية الضخمة الحقيقية التى كانت - ولا تزال - منوطة بالحقائق ، إننا برزنا إلى الميدان كمسلمين بالاسم ، كمتظاهرين بالاسلام ، كمتشبعين من غير شبع ، فلما وقع النضال بين الحقيقة والصورة خذلتنا الصورة فى الميدان ، و أفضحنا أمام الناس ، أمام العالم ، إننا إذا برزنا إلى الميدان كمسلمين

حقيقيين ، و لو كنا فى قلة لتكررت قصة تلك الحوادث التى نقرؤها فى التاريخ ، و لتكررت تلك المعجزات التى كاد العالم يقطع الرجاء منها .

إن الحقيقة حقيقة منذ آلاف من السنين ، لم تتغير و لم تتبدل ، إذا كانت حقيقة الأدوية لم تتغير ولم تتبدل كانجرب كل يوم ، إذا كانت حقيقة النار هذه التى تخضع لنا ، والتى نلهبها ونطفئها إذا كانت حقيقة النار لاتزال منذ آلاف من السنين كما كانت فى عهد آبائنا وأجدادنا وقبل آبائنا وأجدادنا كما يقص علينا التاريخ ، وكما تشهد بذلك الحفريات والآثار ، وإذا كانت حقيقة البحار هى حقيقة البحار ، وإذا كانت حقيقة الغذاء و الماء لم تتغير مع الزمن ، فلماذا نعتقد أن الايمان وحده قد فقد حقيقته ، لقد كان الايمان يتغلب على هذه الحقائق كلها ، لقد كانت النار تفقد خاصيتها ، وتفقد حقيقتها و طبيعتها أمام هذا الايمان ، إذا كان الايمان أكثر التهابا ، و إذا كان أكثر قوة ، و إذا كان أكثر حقيقة من هذه النار ، فقد أصبحت برداً و سلاماً على إبراهيم ، ولماذا لا تخضع و لا تنتكس هذه النار التى خلقها الله لمصالح العباد ، التى خلقها ليقضى الناس بها مآربهم ، التافهة أحيانا ، و السطحية أحيانا ، فلماذا لا تخضع هذه النار ولاتنهزم أمام الايمان ، الذى خلق لمصلحة الانسانية الكبرى ، لمصلحة الانسانية الخالدة ، فلتخضع النار أمام هذا الايمان ، ولتخضع البحار أمام هذا الايمان ، و لتخضع الجبال أمام هذا الايمان ، و لتتغير هذه القوانين الطبعية التى جربها الناس من آلاف من السنين ، أمام هذا الايمان الجديد ، الايمان الفتى ، الايمان الدافق بالحياة .

تذكرون وقعة المدائن لما بلغ سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه

بجيشه إلى دجلة ، وهى تفيض و ترمى بالزبد وقف هنيهة ، وقف وقفة تأمل ووقفة استعراض ، وقال لسلمان ماذا ترى ، هل نخوض هذا النهر أو ننتظر السفن ؟ فقال سلمان رضى الله عنه : إن هذا الدين لجديد ، يعنى أن الله تعالى اختار هذا الدين ، و قرر أنه سيظهره على الأديان كلها ، وأنه يحيى به الانسانية التى ماتت ، فأنا لا أصدق أن هذا الدين سينهزم و يتراجع أمام نهر من الأنهار ، و لماذا لا يخضع هذا النهر أمام هذا الدين ؟ لماذا يخضع هذا الدين أمام هذا النهر ؟ هذه العقلية المؤمنة هى التى كانت تسيطر على نفوس المسلمين ، ثم قال له سلمان و لكن أنظر فى الجيش هل ظهرت فيه ذنوب و انتشرت ؟ فاذا رأيت أن هذا الجيش بعيد من هذه الذنوب فصدق أن الله سبحانه و تعالى ناصره ، وأنه سيتغلب على هذه الحقيقة الضعيفة ، وكذلك كان ، تقرؤن فى التاريخ أن جيش المسلمين قد خاض النهر ، وكان المسلمون يتحدث بعضهم إلى بعض و يمازح بعضهم بعضاً ، كأنما يمشون على البر ، فلما رأهم الفرس قالوا كما نقله الطبرى بالنص (ديوان آمدند ، ديوان آمدند) يعنى جاء الجن ، جاء العفاريت .

إن هذا الايمان هو الايمان ، و أنه لا يزال يحمل تلك القوة التى تقهر القوى الطبعية ، و تتغلب على فلسفة القلة و الكثرة ، و الضعف و القوة ، التى آمن بها الضعفاء و المقلدون ، و لكننا قد أفلسنا فى هذه القوة و اعتمدنا على ما يشترك فيه المسلم و الكافر ، و المصلح والمفسد ، و المطيع و العاصى ، و قد يتفوق فيه الكافر على المؤمن ، إن فضل البندوقية أيها الاخوان هو الرصاص ، فاذا فقدت البندوقية الرصاص

كانت أضعف من الخشب ، إن الخشب هو أنفع و أجدى من البندوقية الفارغة التى ليست فيها رصاصة ، لأن الخشب يستعمل بأساليب متنوعة ، و بطرق كثيرة ، و لكن البندوقية لا تستعمل إلا بطريقة واحدة ، إن قوتها تتوقف على رصاصتها ، فاذا فقدت الرصاصة فقد كل شئ ، فالمؤمن إذا فقد الايمان ، إذا فقد الاعتماد على الله ، إذا تجرد عن الصفات التى أكرمه الله بها ، و اختص بها من بين سائر الأمم ، أصبح كسائر الناس ، و أذل و أضعف منهم أحيانا ، إن النار نار إذا كانت فيها حرارة ، فاذا فقدت هذه الحرارة فليست لها قيمة ، إن الملح ملح إذا كانت فيه ملوحة ، فاذا فقد الملح الملوحة ، أصبح الحصى وأصبح الخزف أثمن منه ، يغنى عن أشياء ويفيد فى مجالات كثيرة ، وفى أعمال كثيرة ، و لكن الملح لا ينفع إلا إذا كانت فيه الملوحة .

إن المسلمين كانوا أقوياء بايمانهم ، أقويا بهذا الدين الذى كانوا يؤمنون به ، أقويا بأنهم كانوا يؤمنون بحقائق يكفر بها أولا يعرفها الآخرون ، فكانوا ينظرون إلى عالم لاشأن لغيرهم به ، وهو الذى أشار إليه تبارك و تعالى بقوله « و لا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون ، وكان الله عليماً حكيماً » فاذا أصبح المسلم لا يرجو من الله شيئاً فانه قد أصبح فى مستوى هؤلاء الماديين ، بل أخفض مستوى من هؤلاء الذين لهم آمال طويلة عريضة فى الدنيا .

نحن المسلمون ، نحن العرب أيها الاخوان ، برزنا إلى الميدان بهذه الحياة المهلهلة السخيفة ، الناعمة الرقيقة ، المريضة العليلة ، الضعيفة الهزيلة ،

الموبوءة الثقيلة ، التى يشترك فيها غيرنا بل يمتازون عنا بأن عندهم من الصرامة و الجد ، و من العزم و قوة الارادة ، و من الاستماتة فى سبيل المبدء ، و الثبات على العقيدة ، و من التجرد لمقاصدهم ما لا يوجد عندنا فى بعض الأحيان ، فلماذا ننتصر عليهم - ؟ و لماذا نشكو ؟ و لماذا نعتب ؟ و لماذا تساور نفوسنا و عقولنا هذه الظنون و هذه الريب التى تساورنا جميعاً ؟ بماذا نمتاز عنهم ؟ الحق أن أعداءنا متفوقون علينا ، كما قلت ، بالصرامة و الجد و بالاستعداد و إعداد القوة ، و بالانسجام و الاتحاد ، و إن المسلمين كانوا ينتصرون على المنافسين ، على الأمم المعاصرة بايمانهم ، بأخلاقهم ، بزهادتهم فى الدنيا ، باستهانتهم بالزخارف والمظاهر ، بحنينهم إلى الشهادة ، وتطلعهم إلى عالم الغيب ، و بايثارهم لموت فى سبيل الله على الحياة فى اللذات والشهوات ، لقد كانت الجيوش تقاتل للامراء ، كانت تساق إلى ساحة الحرب سوقاً ، و تحشر إلى إلى ميدان القتال حشراً ، وكانت الحروب تفرض عليها فرضاً ، و هى راغمة مكرهة ، تلعن هذه الحكومات المغتصبة الظالمة ، وكانت تقاتل رغم أنفها ، و رغما عن نفسها ، وكان المسلمون إنما يقاتلون ليكرموا بالشهادة . و لينالوا ثواب الدنيا و الآخرة ، و فرق بين الذى يطلب الحياة و يكره الموت و يبحث عن سبيل النجاة ، و بين الذى يبحث عن الموت أينما وجد ، يبحث عنه فى مظانه و غير مظانه .

السبيل الوحيد للنصر أيها الاخوان ! أن نكون مسلمين حقيقيين ، وأن نحمل تلك الجذوة الايمانية التى كانت تلهب نفوسنا ، و كانت جديرة بأن تحرق الدنيا كلها . إذا عادت هذه الجذوة ، جذوة الايمان و شعلة

الحياة أعاد التاريخ نفسه .

إننا لما أخلصنا للاسلام فى الماضى ، و لما اندمجنا فى الاسلام ، و تجردنا عن كل شعار من شعائر الجاهلية ، و حملنا مشعل الاسلام فى أيدينا ، أصبحنا سادة العالم ، كنا نسيطر على أكبر رقعة من رقاع العالم المتمدن المعمور ، و انتشرت عقيدتنا وحضارتنا ، وآدابنا و أخلاقنا ، و علومنا و لغتنا ، كما ينتشر ضوء النهار ، وكانت لغتنا تنتشر فى العالم بالسرعة التى لم تعرف لأى لغة ، تنتشر من غير سلطة سياسية ، و من غير استعمار ، لقد أصبحت هذه اللغة العربية ، لغة العلم ، لغة الثقافة و لغة التأليف و تغلغلت فى أحشاء العالم الاسلامى ، وكان المسلمون فى كل بقاع الأرض يتنافسون فى تعلمها ، و فى التضلع منها ، كانوا عجما بالثقافة و بالوراثة و باللغة ، و بالنشأة ، و لكنهم كانوا يؤثرون هذه اللغة للكتابة و التفكير و الفلسفة و العلم ، إنكم تعرفون أولئك النوابغ الذين نهضوا فى العالم الاسلامى فى القرون المختلفة . هذا أبو على الفارسى ، و هذا جار الله الزمخشرى ، و هذا مجدد الدين الفيروز آبادى . و هذا السيد المرتضى الزبيدى الهندى . كلهم كانوا عجما . من أجبرهم على تعلم هذه اللغة - ؟ إن أبا حامد الغزالى كان يؤلف كتابه الأثير الحبيب باللغة العربية ، ويؤثر اللغة العربية للتأليف ، ثم يترجم و ينقل هذا الكتاب إلى لغة أمه و بلاده كما فعل فى إحياء العلوم » ، و كيمياى سعادت » مع أنه فارسى من « طوس » ، وهكذا كان أولئك النوابغ الذين لا يحصيهم إلا الله .

إننى لا أذكر لكم العلوم الدينية لأن الدوافع الدينية كانت قوية

دائماً ، و لعلكم تعلمون بأن هناك دافعاً دينياً ، و لكننى أضرب لكم مثلا باللغة العربية وآدابها ، ماالذى فرض هذه اللغة على الأجيال كلها ، التى كانت لا تتصل بهذه اللغة بنسب ، و لا بنشأة ، ولابسياسة ، ولابادارة ؟ و لم تزل اللغة العربية هى لغة العلم ولغة التأليف فى بلاد عريقة فى العجمة ، فى بلاد توارثت لغتها و احتضنتها ، و لا تزال تعتز بها ، و هى لغات غنية خصبة ، فيها ثروة علمية هائلة ، و مع ذلك كله ، لا تزال اللغة العربية هى اللغة الحبيبة المفضلة فى بلادنا الهند و باكستان .

إننى أذكر لكم أيها الاخوان على سبيل المثال ، أننى كنت ١٩٦٠م فى « كيرالا » بالمنطقة الجنوبية فى الهند ، وهى بلاد عريقة فى الحضارة الهندية ، و قد كنت مضطراً فى بعض الأحيان للتفاهم مع إخوانى المسلمين هنا باللغة العربية . فما الذى نشر هذه اللغة العربية فى هذه البلاد البعيدة ؟ وماالذى جعلها تسيطر فى بعض الأحيان على اللغات المحلية ؟ هى العاطفة الدينية ، هى الروح الدينية ، التى تغلغلت فى الأحشاء ، هى رابطتها بالقرآن ، وصلتها بالسنة و رابطتها بالاسلام ، إذا انقطعت هذه الرابطة - لا سمح الله بذلك - كما يريد كثير من القوميين ، فلا صلة لنا - نحن العجم - بهذه اللغة ، على غناها و على ثروتها ، وعلى جمالها و عبقريتها ، إن الشئ الوحيد الذى يربط هذه الشعوب كلها على اختلاف ألسنتها وثقافاتها ، وأوطانها وبلدانها ، باللغة العربية هى الرابطة الدينية الروحية ، هى التى تجعل المسلمين فى بلاد العجم يغارون على هذه اللغة أكثر مما يغارون على لغتهم ، التى يتفاهمون بها ، وقد يحرصون على تعلمها أكثر مما يحرصون على تعلم اللغات الغربية .

جربوا أيها القوميون ، و جردوا العروبة ، و جردوا اللغة العربية من الرابطة الروحية الدينية ، التى تربط الشعوب و الأمم بهذه اللغة و بهذه البلاد ، ثم انظروا ماذا تفقدون و ماذا تجدون ؟ ما هى نسبة ربحكم من خسارتكم ، وما هى نسبة إفلاسكم من كسبكم ؟ ستعيشون فى عزلة عن العالم ، إن هذا العالم الاسلامى الفسيح الذى لا يزال من ورائكم ، و الذى يؤيدكم فى جميع قضاياكم ، و الذى ينتظر أن تسمحوا له بالخوض فى هذه المعركة ، إن هذا العالم تنقطع صلته عنكم ، وتعيشون فى عزلة ، خذوا القلم ، و خذوا أكبر صفحة من ورق ، و اكتبوا فيها هذه النقطة التى كانت عليها العرب قبل الاسلام ، ثم مدوا هذه النقطة بفضل اللغة العربية ، وفضل النسب العربى ، وفضل الثقافة العربية ، و فضل الخصائص العربية ، و فضل كل ما تستطيعون أن تفرضوه ، ثم أنظروا إلى أين تمتد هذه النقطة ؟ الاسلام هو الذى مد هذه النقطة ، و عرضها و طولها و وسعها ، إلى أن وصلت إلى أقاصى العالم المتمدن المعروف .

إن هذه الروح الاسلامية لما فقدناها ، و قلنا إنها عتيقة ، إنها بالية ، إنها « رجعية » ، و رجعنا إلى هذه القوميات ، فماذا وجدنا عوضاً عما فقدنا ؟ ما هو الشئ الوحيد الذى اكتسبناه ؟ إن العالم كله بما فيه من سياسة و إدارة ، و تجارة و تبادل ، وحرب وصلح ، يقوم على الموازنة بين الربح والخسارة ، والانفاق والاكتساب ، والوارد والصادر ، إن التاجر الصغير يوازن بين الدخل و الصرف ، وإذا تعطلت الموازنة تعطل نظام المدنية و أصبح الأمر فوضى ، فلماذا لانقارن نحن العرب ،

بين ما ربحناه بالقومية ، و الاشتراكية ، و التقدمية ، و بين ما خسرناه باقصائنا للعنصر الدينى ، و تجردنا عن الروح الدينية . و شننا الغارة على ما نسميه « الرجعية »

لقد كنا نسمع أن « الانسان العربى المارد العملاق » سيخرج من القمقم ، و سيدهش العالم ، و سيشغل سمع الزمان و بصره ، و بحثنا عن هذا « المارد العملاق » فى كل مكان فما وجدنا له عيناً و لا أثراً ، بل الذى وقع أن القزم اليهودى ، هذا الانسان التافه ، الانسان الأفاق ، هذا الانسان الذليل ، الذى كان مضرب المثل فى الجبن والنذالة ، تسلط على هذا « المارد العملاق » لما فقد العاطفة الدينية ، وفقد تلك الأسلحة (المعنوية) التى كان يتسلح بها ، لقد وقع ما لم يكن يتوقع فى المنام قبل أيام ، لقد لحق بنا العار الذى لا يغسله ماء سبعة أبحر ، و التصق بكل مسلم ، و بكل عربى فى كل بقعة من بقاع الأرض ، ماذا استفدنا من هذه القيادات اللادينية التقدمية ـ ؟ ماذا استفدنا من هذه القومية و الاشتراكية ؟

إن هذه الحياة كلها قائمة على التجربة ، إذا أصبحنا لا نستفيد من التجارب و لا نتلقى منها درساً ، و لا نصحح بها خطأ ، و اعتمدنا على الأخيلة والدعاوى ، فقد تعرضنا لخطر عظيم ، قد يؤدى بحياتنا ، وفقدنا هذه الثروة الهائلة التى اكتسبنا ها عبر القرون والأجيال ، التى هى تراث المدنية ، و تراث الانسانية ، إذا أصبحت الانسانية لاتعتمد على التجارب إذاً نفقد الثقة بمستقبل الانسان . فاذا أصبح الانسان لا يؤمن بتجاربه ، و لا يزال يسترسل إلى الأوهام والخيالات و لا يزال يعيش فى البرج

العاجى ، فلا مقل للانسانية .

إن العلوم الرياضية كما قلت تقوم على التجارب ، إنها تقوم على الاستقراء ، و قد نهضت المدنية نهضتها لما اعتمدت على الاستقراء بدل القياس ، فماذا وجدنا لما ثرنا على الاسلام ، أو على الأقل لما تنكرنا للاسلام ، و لما أنكرنا فضل الاسلام فى تكوين مجتمعنا ، و لما أبينا أن نلتجئى إلى الاسلام ، إن هذه السنين تكفى للتجربة .

لقد اجتمع فى الشعوب العربية الشقيقة العزيزة من الثروات و الخيرات ، و من وسائل الحياة ، و من وسائل المقاومة ، ومن وسائل النشر و الدعاية ، ما لم تتهيأ لشعوب كثيرة ، لقد كان كل شئ مهيأ لتحقيق النصر ، فماذا كان ينقص هذه الشعوب ؟ إنما كان ينقصها الاخلاص للاسلام ، إنما كانت تنقصها الشجاعة التى لايخلقها إلا الايمان والعقيدة ، كان كثير من القادة يتحرجون ويتضايقون بالتصريح بالاسلام ، لقد كان ثقيلا عليهم أن يقولوا نحن مسلمون ، و نحن نعتمد على الله ، ونعتمد على الايمان و نعتز بالاسلام ، فماذا كانت النتيجة ، هل ننتظر نتيجة أشنع منها و أبشع ، لقد وصلنا إلى الدرك الأسفل ، إلى درك ما بعده درك ، كيف يجوز لنا بعد الآن أن نتنكر للاسلام ، و أن نلتجئى إلى هذه الأصنام ، التى نحتناها بأيدينا ، و لا نزال ننحتها و نجملها ، و لا نزال ندخل عليها تحسينات (أتعبدون ماتنحتون) لقد عكفنا على هذه الأصنام نعبدها ورفضنا عبادة الله تبارك وتعالى ، واستنكفنا من الانتساب إلى الاسلام وحده ، فأين ذلك « المارد العملاق » الذى بشرنا به .

لقد كان الصحابة رضى الله عنه أولئك النحاف الضعاف ، الفقراء الأميون ، هؤلاء الذين كانوا لا يقام لهم وزن ، كانت تزدريهم الأعين ،

و ثيابهم مرقعة ، و نعالهم مخصوفة ، و أجفانهم بالية ، ماذا صنعوا من الأعاجيب ، و كيف اكتسحوا العالم من أقصاه إلى أقصاه ، وفتحوا نصف المعمورة فى نصف قرن . وكيف أقاموا دولة ، وشيدوا حضارة ، و أخرجوا الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الاسلام ، و من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده .

إننا إذا تمردنا على هذه الحقائق ، وإذا طمسنا على هذه التجارب ، فاننا نسيئ إلى كرامة الانسانية ، و ننحط إلى مستوى أقل من مستوى الحيوانات ، إن الحيوانات تعتمد على التجارب ، إن الحيوان إذا جرب شيئاً فانه لا يعود إليه فى الغالب ، فما لنا نعود إلى ما جربناه مراراً و تكراراً ، إن الحيوان إذا آذاه إنسان أو أهانه يصبح له عدواً ، إنه يحمل له حقداً ، إنه يبتعد عنه ، و لكننا نحن مستعدون أن ننخدع بمن خدعنا ، و نلدغ من جحر مرتين بل مراراً ،

إن الذين جروا علينا هذه الكارثة لا يزالون يسيطرون على عقول كثير منا ، ولا نزال نخضع لهم بالاجلال و الاكبار ، لو كانت عندنا بقية من حياء ، بقية من غيرة ، بقية من انسانية . لحاكمناهم محاكمة المجرمين ، القاتلين الذين يقتلون الأمم ، و يدوسون كرامة البلاد ، إنهم جنوا على شخصيتنا ، جنوا على شرفنا ، جنوا على تاريخنا ، و أكبر جناية جنوها علينا على مر التاريخ أنهم جنوا على تاريخنا ، لقد كان تاريخ الاسلام رصيدنا نلتجئ إليه ، و نستمد منه فى كل حين ، كان من أقوى الوسائل لاثارة الشعور الاسلامى ، و لا لهاب الجذوة الايمانية فى الصدور ، لقد كان هذا التاريخ الاسلامى العربى ، تاريخ الفتوح الاسلامية ، سندنا فى خطاباتنا و فى كتاباتنا ، كانت العصا التى نتوكأ عليها دائماً ، كعصا

موسى التى كان يتوكأ عليها و يهش بها على غنمه ، و كنا نفتخر به و نستشهد أمام مواطنينا فى بلاد العجم ، فنقول هؤلاء أبطالنا ، هؤلاء قادة الفتح الاسلامى ، هذا خالد بن الوليد ، وذاك سعد بن أبى وقاص ، و هذا عقبة بن نافع ، و هذا طارق بن زياد ، و هذا محمد بن قاسم ، و نقول :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

أولئك الذين خرجوا بحفنة من البشر ، بقلة من العدد ، فقراء لازاد عندهم و لا مدد ، و فتحوا هذا العالم الواسع ، و لكن هذه النكبة أفقدت هذا التاريخ الاسلامى الشيئ الكثير من روعته و جلاله ، و أضعفت ثقة المواطنين فى كل بلد بهذا التاريخ ، و أصبحوا يشكون فى فى صدقه ، و يقولون (أساطير الأولين) كيف نصدق هذا التاريخ ، و كيف نصدق أن تلك القلة غلبت على الكثرة ، و هذا العالم العربى ، و هذه الحكومات العربية كلها زحفت إلى إسرائيل ، و رمت بثقلها عليها ، و تحدتها تحديا لم نسمع مثله فى الزمن القديم ، تحديا أصم الآذان و خلع القلوب ، ولكن ماذا رأينا ؟ رأينا هذه الحفنة البشرية ، هؤلاء الشذاذ الأفاقين ، هذه الشرذمة القليلة التى لفظتها أراضيها وبلادها ، استولت على هذه الحكومات . و هنالك تخرس الألسن ، و تنكس الرقاب ، و يخون الجواب . إنها خسارة لا تعوض ، إنها لغزة لا تفض .

ما هو المتوقع والمعقول على إثر هذه النكبة أيها الاخوان ! ؟ أليس أن نحكم على الحوادث حكماً صحيحاً . وعلى الرجال والشخصيات التى تحملت مسؤليتها ، و نقرر أن هؤلاء قد خسروا المعركة . و أنهم ليسوا

جديرين بالقيادة . بل إنهم كانوا سبب النكبة وأن الطريق الذى اختاروه طريق عقيم مسدود ، و أن نتبرأ منهم و نحملهم تبعة هذه الهزيمة ، وهذه المأساة ، وأن لانشعر بميل إليهم ، إن الأمة إذا كان فيها شعور ، إذا كان فيها وعى ، حاسبت هؤلاء القادة حساباً شديداً . إننى لاأتحدث عن الوعى الايمانى ، الوعى الذى كان يتصف به صحابة الرسول ﷺ ، و التابعون لهم باحسان ، إنهم كانوا لا يخضعون للرجال إنهم كانوا دائماً يخضعون للحقائق ، و يحاسبون الخلفاء و الأمراء على تصرفاتهم وأخطائهم ، ويقولون كلمة حق عند سلطان جائر ، و لكننى أتحدث عن الوعى السياسى ، بل الوعى المدنى الذى رأينا مظاهره . وأمثلته الرائعة فى الشعوب المادية ، التى لا تدين بالاسلام ، إن الانجليز و الفرنسيس لا يغتفرون الذى يجنى عليهم و يلوث كرامتهم ، إن الانجليز لم يغتفروا المستر (ايدن) رئيس وزراء بريطانيا الأسبق ، لما أخفق فى معركة السويس ، وألحق بالانجليز العار ، ماذا فعل ايدن ؟ إنما أخطأ فى التقدير ، و لكن الشعب الانجليزى لم يسامحه و لم يغتفره ، و قال له تفضل و اترك كرسى الحكم ، و اذهب إلى زاوية من التاريخ ، و إلى مؤخر الشعب ، و كذلك توارثت أمم كثيرة ، بغض الرجال الذين تآمروا عليها ، و امتهنوا كرامتها ، و لوثوا شرفها ، هذه طبيعة فى الانسان ، و هو سر فى رمى الجمرات ، و قد حافظت الشريعة الالهية على هذه الطبيعة ، فما هذا الرمى عند الجمرات إلا إثارة للبغض و الثورة التى يجب أن نحملها لعدونا الأكبر . الذى كان سبب شقائنا ، و الذى حاول مراراً أن يمنع إبراهيم من امتثال أمر الله ، و الذى لايزال قائماً لنا بالمرصاد .

إن العرب عرفوا فى التاريخ بالغيرة الشديدة ، عرفوا بالنخوة و الاباء ، عرفوا بالحكم العادل على أئمتهم و على أمرائهم ، و على صالحيهم و زهادهم ، لم يهابوا منهم ، و لم يداهنوا ، و لم يمتنعوا عن كلمة الحق ،

هؤلاء العرب نرى عدداً من شبابهم اليوم فى بلاد كثيرة ، لا يزالون خاضعين لأولئك القادة الذين ورطوهم فى هذه النكبة ، و يصدق عليهم قول شاعرهم القديم :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة و من إساءة أهل السوء احساناً
كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس إنساناً

لقد جربنا أيها الاخوان : أننا لما تجردنا عن الدين ، ولما تنكرنا للاسلام و لما أفلسنا فى الروح الدينية فقدنا كل شئ ، إننا لم نعد بشئ ، إننا لم نرجع إلا بخفى حنين ، هذه التجربة تكفينا و تغنينا عن كل تجربة جديدة . فلنعد إلى الاسلام .

لنعد إلى الاسلام بشجاعة . لنعد إلى الاسلام بصراحة و صدق . إن الصدق ينجى و الكذب يهلك . إن الصدق هو الذى ينفع الأفراد و الأمم . إن النفاق لم يغن عن الأقوام و لا يغنى . إن كل محاولة قامت فى دور من أدوار التاريخ لصرف هذه الأمة العربية عن منبعها الأصيل ، عن منبعها الذى كانت تستمد منه الايمان وتستمد منه القوة ، و الشرف و الوحدة ، أخفقت و باءت بالفشل الذريع ، سواء كانت محاولة مسيلمة الكذاب ، و محاولة المتنبئين فى هذه الجزيرة ، أو كانت محاولة القرامطة فى ناحية من نواحى هذه الجزيرة نفسها ، أو كانت محاولة الباطنيين و الفلاسفة ، أو كانت محاولة القوميين فى العهد الأخير ، بمفهومها العقائدى و فلسفتها القائمة بذاتها . . إن كل محاولة قامت لصرف هذه الأمة العربية عن إيمانها ، و عن قائدها الذى قدر الله أن يكون الامام الخالد ، و النبى الخالد لهذه الأمة ، الذى هو عنوان شرفها ، و رمز قوتها ، وسر انتصارها . إن كل محاولة بذلت لصرف هذه الأمة عن قائدها و إمامها ، و عن دينها و عقيدتها ، و عن رسالتها و دعوتها و عن منبعها و مرجعها ، فشلت و ستفشل . لتقرر أنه لا ملجأ من الله ولا منجى إلا إليه ، فان قصتنا هى قصة أولئك المتخلفين ، الذين تخلفوا فى غزوة تبوك ، و قال الله فيهم (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا

ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم و ظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه . ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم) لقد ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، هذا مما لا شك فيه ، سيروا فى الأرض و انظروا كيف أصبحنا أذلاء . كيف سقطنا فى عيون الناس ، و ضاقت علينا أنفسنا ، و هذا ما نشعر به و تشهد به قلوبنا ، و قد رأينا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، فالطريق مظلم و مسدود . فلنقرر الحقيقة و لنعترف بالواقع . ولنقل بصراحة وشجاعة : إننا لم نستفد شيئاً من الثورة على الاسلام ، فلنحكم على أنفسنا . ولنقل لقد أخطأنا . و إننا نرجع إلى حظيرة الاسلام و نرجع إلى قوة الاسلام التى لا تزال منتظرة لأن تسعفنا . و تأخذ بيدنا ، و أن ترفعنا من هذا الحضيض الذى تردينا فيه .

أيها السادة الكرام ! إننى أشعر بأننى قد قسوت بعض القسوة على إخوانى الذين أحبهم و أجلهم . والذين قد ربط الله مصيرى بمصيرهم ، والذين جعل الله شرفهم شرفى وهوانهم هوانى ، وقد صرخت بهذه الحقيقة . و أرسلتها كلمة مدوية فى الهند فى كل مناسبة ، لقد قلت لهم : إن مصير المسلمين فى كل بلد مرتبط بمصير العرب. فاذا عز العرب عز الاسلام والمسلمون وإذا ذل العرب ذل الاسلام والمسلمون ، أولئك الذين لا أعدل بهم قوماً . ولا أعدل بكتابهم كتاباً ولا أعدل بلغتهم لغة ، ولا أعدل بحضارتهم حضارة على ذاك أحيى و على ذاك أموت . وما حملنى على هذه الصراحة ، أو على هذه المرارة ، إلا الاشتراك ، إلا أننى ألتقى معكم فى كل شئ ، إلا أننى آخذ بنصيبى مما أنتم فيه . فالى الرأية المحمدية أيها العرب ، لا إلى الرأية القومية ، و لا إلى أى رأية جاهلية .

لقد أنقذكم الله من هذه الجاهلية ، وأنقذ أمماً وبلاداً بفضلكم أيها العرب ، فلا تعودوا إلى هذه الجاهلية ، لقد كانت لهذه الأمم جاهليتهم . وحضارتهم وشعاراتهم ، وأنساب تفتخر بها و آداب وتقاليد تعض عليها بالنواجذ ، ولكنكم حملتم إليها رسالة الاسلام ، فأنقذتموها من هذا المستنقع ، فكيف

يجوز لكم أن تعودوا إلى جاهليتكم ، وأنتم أيها الاخوة العرب ، يا أهل مكة . باسدنة البيت الحرام ، بنيتم بيدكم العفيفة النظيفة ، الكريمة الشريفة . هذا البيت ليعلو على البيوت كلها وليعلو على الأصنام ، ويعلو على الهياكل . كيف يجوز لكم أن ترجعوا إلى هذه الهياكل الظالمة المظلمة ، الوسخة المتعفنة . من هنا ارتفع الصوت الذى دوى فى الآفاق ، وحطم الأصنام و فك السلاسل والأغلال . وغير مجرى التاريخ ، وقلب تيار الحوادث ، من هنا انبثق ذلك النور الذى انتشر فى العالم ، وأنقذ الأمم ، وأحيا الرمم وأحيا النفوس البشرية ، فكيف يجوز لكم أن تعودوا إلى هذه الجاهلية البالية . التى أصبحت أوربا تعافها ، و أصبحت الأمم الجاهلية التى عكفت عليها قرونا وأحقاباً تتبرأ منها ، إذا كانت أوروبا قد رفضت هذه القوميات ، وعرفت مغزاها ، و عرفت جنايتها على الانسانية . كيف يجوز لكم أن تتناولوا هذه اللقمة التى لفظتها أوربا من فمها . كيف يجوز لكم أن تلتقموها . أنتم يا كرام الناس ، يا أولئك الذين كانوا يرفدون القبائل . ويتصدقون على على الفقراء ، العالم كله فى ضيافتكم وعلى مائدتكم ، فحرام عليكم أن تعيشوا على فتات مائدة غيركم . على العظام البالية النخرة .

إن موقف كثير من إخواننا العرب فى غير هذه البلاد موقف يحرجنا . موقف يحرج الدعاة فى الهند وباكستان وبلاد العجم ، موقف يحرج أولئك الذين لا يعرفون غير الاسلام ديناً . و غير القرآن كتاباً ، وغير الشريعة نظاماً و قانوناً ، وغير محمد بن عبد الله إماماً وقائداً . عطفاً عطفاً ، رفقاً رفقاً ، رحمة ، أيها العرب ، لا تحرجونا عند مواطنينا لا تحرجونا فى بلاد بعيدة عن مهد الاسلام إذا لم تحسنوا إلينا ، فبالله لا تسيئوا إلينا إذا لم تزيدوا فى قوتنا ، فبالله لا تنقصوا من قوتنا . من حماسنا . من ثقتنا بالاسلام ، من ثقتنا بنفوسنا المؤمنة . من ثقتنا بتاريخنا الاسلامى . من ثقتنا بأنكم أصحاب الفضل فى إسلام هذه الأمم ، التى كانت تتسكع فى الجهالات ، وكانت ترسف فى القيود والأغلال ، وكانت تتورط فى الأوحال والمستنقعات ، رفقا ، أيها العرب ، رفقا ، ياقادة مصر ، رفقا ، ياقادة سوريا . إرحموا المسلمين ، أولئك

الذين يكافحون الشعارات الجاهلية ويهتفون بالاسلام ويهتفون بالقرآن ، إن موقفهم دقيق ، أنتم الذين أنشأتم هذه الأجيال المؤمنة ، وكانت فى جاهليتها تعبد البقر وتعبد الشجر والحجر ولاتزال منها بقية فى آسيا وأفريقيا ، تنظر إليكم كفقير بائس وكجائع عطشان ، وتقول لكم بلسان الحال (أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) أفيضوا علينا من مائدة محمد بن عبد الله ﷺ . لاتكونوا أقل اعتزازاً به وافتخاراً من الأعاجم ، أنتم أولى به من أولئك الذين لم يتصلوا به بنسب ، ولم يتصلوا به بلغة ، ولم يتصلوا به بوطن ، ولم يتصلوا به بدم ، ترون الرجل فى الهند إذا ذكر اسمه ترنحت أعطافه ، واهتزت مشاعره ، والتهبت جذوته ، وتفتحت قريحته . فأصبح ليثاً مغواراً ، هؤلاء الأتراك ، لايزال لهذا الأسم سحر فى نفوسهم . ليس لكلمة أخرى من أسماء السادة والقادة ، قولوا محمداً وسلوا ماشئتم ، استخدموهم كالعبيد ، استخدمونا نحن الهنود باسم الاسلام ، كيف يأتى الناس يسعون على رؤوسهم ، وعلى عيونهم ، إلى هذا البيت من كل فج عميق ، ولاتزال تلك القوة الكبرى التى لم يعرف العالم فى تاريخه الطويل قوة أكبر منها ، فو الله إن أوربا ترتعد فرقاً من هذه القوة ، وإنها نامت النومة العميقة الحلوة بعد هذه النكبة .

إنى أرجوكم أن تسامحونى إذا قسوت لكم بعض الشيئ ، فما دفعنى إلى ذلك إلا الاخلاص ، إن مثلى ومثلكم كما قال رسول الله ﷺ ، المحيا محياكم والممات مماتكم ، فو الله لولا هذه الرابطة الحبية ، الرابطة التى أكرمنا الله بها ، لكان لنا تاريخ غير هذا التاريخ ، وكان لنا وضع غير هذا الوضع ، الاسلام هو الذى يربطنا بكم ، ويربطكم بنا ، هذا الاسلام الذى نريد أن نلتف عليه ، وأن تتولوا قيادته من جديد ، لقد كان موضوعى إلى الاسلام من جديد . لقد بدأت من هذا ، ولكنى أختم فأقول : إلى القيادة العالمية من جديد أيها العرب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بسم الله الرحمن الرحيم

درس من شهر رمضان

جاء رمضان كدأبه كل عام وحل فى بيوت المسلمين كضيف عزيز كريم تقر بقدومه العيون وتثلج به الصدور ، وتنبسط له النفوس ، ويستبشر به كل فرد من أفراد الأسرة .

جاء رمضان شهر الخروج من عادة إلى عادة . ومن لون إلى لون ، من كثافة المادة وثقلها إلى لطافة الروح وخفتها ، شهر كله بر ومواساة وعطف وحنان ، وشهر كله رحمة وإيمان وذكر وقرآن .

ولا ينسى المجتمع البشرى ماله هذا الشهر من فضل فى إعادة اعتبار البشر ومكانته ، وكان قد فقد قيمته واعتباره من خضوعه أمام كل شهوة رخيصة ، ونزوله عند كل رغبة حقيرة ، ولكن الصيام هو الذى أمسكه عن ممارسة الشهوات والنزوات بدون وازع ، وهو الذى وضع عليه حداً فى التمتع بطيبات الحياة وملاذها ، وقال : إن الأكل والشرب والاستمتاع بلذات الحياة وتحقيق رغباتها حرام فى نهارى .

إنه حرم الطيبات ، حرم الطعام والشراب والرفث وقد كان حلالا قبل مدة ، وشنع الضحب والسب ، والاشتغال بكل ما يلهى عن الغاية ويعكر صفوها ، وذلك لأن الصيام يسمو بصاحبه إلى آفاق نظيفة حيث يتنظف القلب من كل كدر يعلوه ، أو رين يصدأ به ، وهو يطير به

إلى أجواء روحية لطيفة حيث يتخلص من كل شائبة ذنب و نفاق ، ويتطلع إلى إشعاع من النور ويعيش فى شفافية الروح وحساسية الضمير ،

إن هذا الشهر يقوم بعملية كبرى لتنظيف القلب مما تراكم عليه من الغبار و التراب ، و تطهير المجتمع من الأهواء والملابسات و العلائق و الشهوات ، شأن الميكانيكى الذى يتعهد الماكينة و ينظفها كلما تكدست عليها الأتربة و تراكمت عليها الأدران .

و دور الصيام فى قطع دابر الفساد من المجتمع الاسلامى يفوق جميع الأدوار الأخرى التى يمثلها النظام الاسلامى ، لأنه يقوم باستئصال الداء من أساسه ، و اقتلاع النزعات الفاسدة الضاربة فى الأعماق من جذورها ، و ذلك لأن التقوى و رقابة الله و محاسبة الضمير تتمثل فى الصيام ما لا يتمثل فى غيره من العبادات .

أما فضله على المجتمع البشرى فى إشعار المساواة و إيجاد المواساة على رغم جميع التفضلات والخصيصات التى يتفضل بها البعض على البعض فكبير لا يوجد فى أى شئ مهما كان كبيراً ، و إنما هو الصيام ذلك ذلك الركن العملاق الذى يأوى إلى كنفه شعور التعادل و المواساة و الأخوة فى شكله العملى ، و يتربى فى أحضانه روح التعاون والتعاضد و التآزر بصورة نهائية .

إن الانسان لا يستطيع أن يقدر آلام أخيه و مصابه و لو كان على جانب عظيم من الرقة و الحنان حتى يصاب بنفس تلك الآلام و المشاق ، و الصيام يشعر الانسان مدى تألم أخيه بالجوع و العطش قبل كل شئ ، لأنه هو نفسه يحتمل الجوع والعطش ، ولا شك أن الانسان

فى عالمه المادى يتألم بالجوع و العطش أكثر من كل شئ ، و هو جانب مرهف حساس فى حياة الانسان يتصل بجسمه المادى و يؤثر فيه أعمق تأثير .

و الشعور برقابة الله يتجلى فى نفس الصائم ويشتد حينما يجد نفسه عاجزة عن استجابة أى نداء لشهوة من شهوات النفس أو الجسم رغم توافر كل شئ من الطعام و الشراب و ملذات الحياة ، و رغم توفر الفرصة السانحة لمزاولة الشهوات بحيث لا تطلع عليها عين انسان ، و لا تخطر على بال شخص .

إنها التقوى !

تلك الناحية الحساسة التى يحرص عليها الاسلام أشد الحرص ، و هى سمة الايمان البارزة ، التى لا تخلو منها حياة المؤمن الصادق ، إذ لا يتصور ايمان بدون التقوى ، وهى الايمان بمثابة الروح للجسد ، فاذا خلا الايمان من التقوى فقد كل قيمته و ذهب ادراج الرياح ، أما الصيام فهو تمرين عملى على الاتقاء ، و درس حى لتنمية هذه الناحية و صبغ الحياة كلها بصبغة الله سراً وعلانية . وقد أشار القرآن فى علة وجوب الصيام إلى هذه الناحية فقال : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون .

و الصبر على الشدائد من آيات الايمان فان المؤمن يواجه البلاء والامتحان فى كل خطوة يخطوها ، فاذا كان قليل الصبر كثير التشكى ضجر و تبرم من الدنيا و تمنى الخلاص منها سريعاً ، و فاتت الغاية التى خلق من أجلها ، و لكن الايمان يطلب الثبات والاحتمال ، والصبر والتأنى ،

إنه لا يرحب بفكرة تدعو إلى السآمة من شدائد الحياة و الكراهية لكل بلاء و إنما يريد من المؤمن أن يكون قوياً فى كل حين ، و عند كل مناسبة يواجه الشدائد و الصعوبات بوجه باسم و قلب ثابت ، و نفس قوية ، و عزيمة راسخة ، و يعتقد أنها ليست إلا من عند الله الرؤف الرحيم .

وكم يتمثل صبر المؤمن وتجلده فى رمضان ، الذى سماه بعض العلماء شهر الصبر ، و الحقيقة أن صيام هذا الشهر يوجه إلى الصائم درساً عظيماً للصبر و الثبات ، ويؤكد له عجزه أمام أمر الله ، ويريه أن أكوام الذهب والفضة وذخائر الطعام والشراب وطيبات الحياة التى تملكها لا تغنى عنك شيئاً ما لم يرد الله ، ومن هنا ينشأ فى نفسه شعور العبودية الصادقة بكل معناها ، و تصور الكبرياء الحقة بكل معناها لله وحده .

أنظر كيف يعيش المسلمون طوال شهر كامل فى جو من الايمان والتقوى والصبر ، ويوطنون نفوسهم على هذه الخلال الكريمة ليل نهار صباح مساء لا يتلهون عن واجبهم للحة واحدة ، و لا ينسون للحظة أنهم فى شهر الرحمة و البر ، و شهر الذكر و التلاوة ، و شهر الدعاء والنوافل ، شهر فيه ليلة القدر ، و ما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة و الروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر ،

و قد كان النبى ﷺ أجود من الريح المرسلة فى هذا الشهر يتفقد أحوال الناس و يعين حاجاتهم ، روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه قال كان النبى ﷺ أجود الناس بالخير ، و كان أجود ما يكون فى

رمضان حين يلقاه جبريل ، و كان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه النبى ﷺ القرآن ، فاذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسله ،

إن لهذا الشهر فضلا كبيراً فى تكوين مجتمع مثالى أفضل ، ذلك المجتمع الأفضل الذى يتسم بسمة المساواة و المواساة . و يتصف بصفة الايمان و التقوى ، و لو لا هذه العبادة و هذا الركن الكبير فى الاسلام لنقص بناؤه و فقد النظام الاسلامى ذلك التكامل و الشمول الذى يعتبر خصيصة هذا النظام الكبرى .

و هكذا يعتبر هذا الشهر الميمون نعمة الله الكبرى على المسلمين ، التى تشعر بعظمتها القلوب المؤمنة الواعية لأنها تستوحى فى هذه الفترة إشارات لطيفة من الايمان و التقوى ، لا تدركها فى غيرها ، إنها تشعر بلذة العبودية الخالصة و ترى أن هداية الله ماثلة أمام الأعين و رحمته تحف بها من كل جانب ، و هنالك تستعد النفوس لتمثيل ذلك الدور العظيم الذى أخرجت له هذه الأمة العظيمة ؟

سعيد الأعظمى

موئل الانسانية وأمة المستقبل

سماحة الأستاذ السيد أبي الحسن على الحسنى الندوى

برغم كل ما أصيب به المسلمون من علة و ضعف فانهم هم الأمة الوحيدة على وجه الأرض ، التى تعد خصيم الأمم الغربية و غريمتها و منافستها فى قيادة الأمم ، و مزاحمتها فى وضع العالم ، و التى يعزم عليها دينها أن تراقب سير العالم و تحاسب الأمم على أخلاقها و أعمالها و نزعاتها ، و أن تقودها إلى الفضيلة والتقوى وإلى السعادة و الفلاح فى الدنيا و الآخرة ، و تحول بينها و بين جهنم بما استطاعت من القوة ، و التى يحرم عليها دينها و يأبى وضعها و فطرتها أن تتحول أمة جاهلية .

هذه هى الأمة التى يمكن أن تعود فى حين من الأحيان خطراً على النظام الجاهلى الذى بسطته أوروبا فى الشرق و الغرب و أن تحبط مساعيها .

و قد وصف هذا الخطر شاعر الاسلام الحكيم « محمد إقبال » فى قصيدته البديعة : (برلمان إبليس) ذكر فيها أن الشياطين و زملاء إبليس و أعوانه اجتمعوا فى مجلس شورى ، و تباحثوا فى سير العالم و أخطار الغد و فتنه ، و ما يتوجسون من خيفة على نظامهم الابليسى و مهمتهم الشيطانية ، فتذاكروا فى فتن وأخطار قد أحدقت بهم وهددت نظامهم ، وجللوا خطبها وتناذروا شرها ، فذكر أحدهم الجمهورية وحسب

لها حساباً كبيراً ، فقال الثانى لا يهولنك أمرها فانها ليست إلا غطاء للملوكية ، ونحن الذين كسونا الملوكية اللباس الجمهورى ، إذ رأينا الانسان بدأ يتنبه و يفيق و يشعر بكرامته ، و خفنا ثورة على نظامنا قد لاتحمد عاقبتها ، فألهيناه بلعبة الجمهورية ، و ليس الشأن فى الأمير و الملك ، إن الملوكية لا تنحصر فى وجود شخص ترتكز فيه الملوكية و فرد يستبد بالسلطان ، إنما الملوكية أن يعيش الانسان عيالا على غيره مستشرفاً إلى متاع غيره ، سواء فى ذلك الشعب و الفرد ، أما رأيت نظام الغرب الجمهورى وجهه مشرق و ضاح و باطنه أظلم من باطن جنكيز خان ؟

فقال الآخر : لا بأس إذا بقيت روح الملوكية . ولكن ماذا يقول النائب المحترم فى هذه الفتنة الدهماء التى أثارها هذا اليهودى الذى يدعى كارل ماركس ، ذلك الباقعة الذى ليس نبياً و لكنه يحمل عند أتباعه كتاباً مقدساً ، هل عندك نبأ أنه أقام العالم و أقعده ، و أثار العبيد على السادة حتى تزعزعت مبانى الامارة و السيادة ؟

فقال الآخر مخاطباً رئيس المجلس يا صاحب الفخامة ، إن سحرة أوربا و إن كانوا مريديك المخلصين و لكنى لم أعد أثق بفراستهم ، ها هو السامرى اليهودى الذى هو نسخة من مزدك (الزعيم الفارسى الاشتراكى) قد كاد يأتى على العالم بقواعده فاستنسر البغاث ، و أصبح الصعاليك يزاحمون الملوك بالمناكب و يدفعونهم بالراح (أعلام أرض جعلت بطائحاً) إنا قد استهنا بخطب هذه الحركة الاشتراكية و ها هى قد استفحلت و تفاقم شرها ، و ها هى الأرض ترجف بهول فتنة الغد ، يا سيدى إن العالم الذى كنت تحكمه سينقض عليك ، و ينقلب نظام العالم

ظهراً لبطن .

فتكلم رئيس المجلس (إبليس) و قال : إنى أملك زمام العالم و أتصرف به كيف أشاء ، و سيرى العالم عجباً إذا حرشت بين الأمم الأوربية فتهارشت تهارش الكلاب ، و افترس بعضها بعضاً فعل الذئاب ، و إذا همست فى آذان القادة السياسيين و أساقف الكنائس الروحانيين فقدوا رشدهم و جن جنونهم .

أما ما ذكرتم عن الاشتراكية فكونوا على ثقة أن الخرق الذى أحدثه الفطرة بين الانسان و الانسان لا يرفوه المنطق المزدكى (الفلسفة الاشتراكية) لايخوفنى هؤلاء الاشتراكيون الطرداء والصعاليك السفهاء .

إن كنت خائفاً فانى أخاف أمة لا تزال شرارة الحياة و الطموح كامنة فى رمادها ، و لا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع و تسيل دموعهم على خدودهم سحراً ، لا يخفى على الخبير المتفرس أن الاسلام هو فتنة الغد و داهية المستقبل ، ليست الاشتراكية .

أنا لا أجهل أن هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجوراً ، و أنها فتنت بالمال و شغفت بجمعه و ادخاره كغيرها من الأمم ، أنا خبير أن ليل الشرق داج مكفهر ، و أن علماء الاسلام و شيوخه ليست عندهم تلك اليد البيضاء التى تشرق لها الظلمات و يضيئ لها العالم ، ولكنى أخاف أن قوارع هذا العصر و هزته ستقض مضجعها و توقظ هذه الأمة و توجهها إلى شريعة (محمد ﷺ) إنى أحذركم و أنذركم من دين محمد (ﷺ) حامى الذمار حارس الذمم والأعراض ، دين الكرامة والشرف دين الأمانة و العفاف ، دين المروءة والبطولة ، دين الكفاح والجهاد ،

يلغى كل نوع من أنواع الرق ، و يمحو كل أثر من آثار استعباد الانسان ، لا يفرق بين مالك و مملوك ، ولا يؤثر سلطاناً على صعلوك ، يزكى المال من كل دنس و رجس و يجعله نقياً صافياً ، و يجعل أصحاب الثروة و الملاك مستخلفين فى أموالهم (١) أمناء لله وكلاء على المال ، و أى ثورة أعظم و أى انقلاب أشد خطراً مما أحدثه هذا الدين فى عالم الفكر و العمل يوم صرخ أن الأرض لله لا للملوك و السلاطين .

فابذلوا جهدكم أن يظل هذا الدين متوارياً عن أعين الناس ، و ليهنئكم أن المسلم بنفسه هو ضعيف الثقة بربه قليل الايمان بدينه ، فخير لنا أن يبقى مشتغلا بمسائل علم الكلام و الالهيات و تأويل كتاب الله و الآيات ، اضربوا على آذان المسلم فانه يستطيع أن يكسر طلاسم العالم ويبطل سحرنا بأذانه و تكبيره و اجتهدوا أن يطول ليله و يطئ سحره . اشغلوه يا إخوانى عن الجد و العمل حتى يخسر الرهان فى العالم ، خير لنا أن يبقى المسلم عبداً لغيره ، و يهجر هذا العالم و يعتزله و يتنازل عنه لغيره زهداً فيه ، و استخفافاً لخطره ، يا ويلتنا و باشقوتنا لو انتبهت هذه الأمة التى يعزم عليها دينها أن تراقب العالم وتعسه .

رسالة العالم الاسلامى :

لا ينهض العالم الاسلامى إلا برسالته التى وكلها إليه مؤسسه ﷺ و الايمان بها و الاستماتة فى سبيلها ، و هى رسالة قوية واضحة مشرقة ، لم يعرف العالم رسالة أعدل منها و لا أفضل و لا أيمن للبشرية منها .

و هى نفس الرسالة التى حملها المسلمون فى فتوحهم الأولى ، والتى

(١) « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (الحديد)

لخصها أحد رسلهم فى مجلس يزدجرد ملك إيران بقوله : « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام» رسالة لاتحتاج إلى تغيير كلمة و زيادة حرف ، فهى منطبقة تمام الانطباق على القرن العشرين انطباقها على القرن السادس المسيحى ، كأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خرج المسلمون من جزيرتهم لانقاذ العالم من براثن الوثنية و الجاهلية .

فرسالة العالم الاسلامى هى الدعوة إلى الله و رسوله و الايمان باليوم الآخر ، و جائزته الخروج من الظلمات إلى النور ، و من عبادة الناس إلى عبادة الله وحده ، و الخروج من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الاسلام ، و قد ظهر فضل هذه الرسالة وسهل فهمها فى هذا العصر أكثر من كل عصر ، فقد افتضحت الجاهلية و بدت سوآتها للناس و اشتد تذمر الناس منها ، فهذا طور انتقال العالم من قيادة الجاهلية إلى قيادة الاسلام ، لونهض العالم الاسلامى ، واحتضن هذه الرسالة بكل إخلاص وحماسة وعزيمة ، و دان بها كالرسالة الوحيدة التى تستطيع أن تنقذ العالم من الانهيار و الانحلال .

- معالم فى الطريق .
- و أضواء على الشعارات الزائفة .
- و تصوير للموقف الاسلامى الصحيح .
- و دعوة إلى منبع الاسلام الصافى النقى .

التوجيه الإسلامي

بحث

- خطوط عريضة للفكر الاسلامى الثائر الذى لا يقبل المساومة و البيع والاستسلام ولاينسجم مع الغرب المادى أيما انسجام .

صفوة الآثار و المفاهيم من

تفسير القرآن الكريم

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى

الحادى و الستون بعد المأة : الضراعة إلى الله سبحانه بـ (إياك نعبد ..) بصيغة الجمع لا يقصد بها جمع المفرد ، لأن الشخص الواحد لا يكون جمعاً ، كما لا يقصد التعظيم بنون الجمع ، لأن العابد ضارع إلى الله بذكر نفسه بالعجز و الذلة لا بالعظمة و الرفعة ، بل نون الجمع هنا تعبير من المسلم عن مجموع المسلمين كما علمه الله ، لذلك فهو (أولا) كالتأكيد بأن المؤمنين إخوة تتساوى أقدامهم فى عبادة الله والتحرك لها ، و التوجه إلى الله و طلب المدد منه ، فلو قال (إياك أعبد) لكان مقتصراً على ذكر عبادة نفسه دون غيره ، و هذه فرقة و أنانية مخالفة للتضامن والارتباط ، والله يربى عباده على عكس ذلك ، و يوجههم إلى ما يحصل به صفاء قلوبهم ، و اتحاد هدفهم الصحيح نحوه و وحدة صفوفهم فى حياتهم الدينية ، التى هى على خلاف حياة الماديين ، حتى إن بعضهم يستسق لبعض فى صلاة الاستسقاء والقنوت ، بدعائه ، شعوراً عميقاً منهم بهذه الوحدة و الاتحاد .

فاذا قال المسلم الصادق (إياك نعبد) فقد ذكر عبادة نفسه وعبادة غيره من المسلمين فى سائر بقاع الأرض على العموم ، لذلك الارتباط

العقائدى الذى يجعلهم عصبة واحدة متضامنون فى معاملتهم مع الله و علاقتهم به فى سائر نواحى حياتهم التى يجب أن تكون متكيفة بروح العبادة لله قلباً و قالباً ، و ظاهراً و باطناً ، ليتحقق الوصف النبوى السالف الذكر .

و (ثانياً) فى الضراعة باسم المجموع تنبيه على حتمية الاتيان بالصلاة مع الجماعة ، وقد اعتبرها بعض المحققين شرطاً لصحتها ، والأحاديث الصحيحة تؤيد ذلك لا سيما عدم سماح النبى ﷺ للأعمى الذى لا قائد له ، و يعتذر بالبعد وكثرة الهوام بالمدينة ، إذ كان جوابه له بما معناه ـ لا أجد لك رخصة و أنت تسمع النداء ـ وشيئ ثالث فى صيغة الجمع بهذه الضراعه وهو احساس العبد بنقصه فى عبادته وحده وعدم استحقاقه للتقدم بذكرها وحدها ، فعلمه الله أن يتقدم بعبادة جميع العابدين بلفظة واحدة ، و هذا أيضاً تربية من الله لعبده ضد الانعزالية و اشعار لها بالارتباط بالمجموع كما تقدم .

الثانى والستون بعد المأة : فى حصر الابتهال إلى الله بـ (إياك نعبد و إياك نستعين) إشعار بالتزام عبادة الله و طاعته ، وتنفيذ حكمه إلى الموت ، و تأكدهما عليه كلما ازدادت معرفته بربه وعظيم آلائه . و زاد يقينه بوعده و وعيده ، فان ضراعة المؤمن إلى الله بـ (إياك نعبد ..) بعد ما ذكرناه فى القاعدة السادسة و الخمسين بعد المأة من معرفته بالبداءة باسمه و الثناء عليه و الاعتراف العام بربوبيته و الرجوع ـ يوم الحساب ـ

هذه الضراعة بعد ذلك ـ هى عهد يجدده مع ربه فى هذه السورة

المباركة ، التى عليه إياها على حصر العبادة له وحده ، متبرءاً من عبادة الهوى بأى صورة تنوعت ، و بأى نحلة ظهرت ، ملازما لذلك طيلة حياته حتى يأتيه اليقين الذى هو الموت ، و أن مسؤوليته فى إنفاذ هذا العهد من عبادة الله بكل ناحية من نواحى الحياة تزداد كلما ازدادت معلوماته من الروافد الدينية ، التى فصلناها فى القاعدة المذكورة ومابعدها ، و يتحتم عليه الجهاد بجميع أنواعه و متطلباته درءاً لكل فتنة تصده عن ذلك و زحفاً بعقيدته الروحية ليكون مرفوع الرأس .

و إنه لا يسقط عنه أى نوع من أنواع العبادة مع القدرة عليه مهما عمل أو بلغ من أنواع التصوف أو علم من المكاشفات المزعومة أبداً ، و إن اليقين الوارد فى قوله تعالى (و اعبد ربك حتى يأتيك اليقين) هو الموت كما فسره النبى ﷺ فى الحديث الصحيح فى قصة موت عثمان بن مظعون رضى الله عنه إذ قال (أما عثمان فقد جاءه اليقين من ربه) يعنى الموت فلا ينفك العبد من عبودية الله إلا بالموت ، ومن زعم أنه يصل بشيئ من أنواع التصوف إلى مقام يسقط فيه التعبد فهو زنديق كافر مناقض لما رسمه الله لعباده فى هذه السورة ، و مناقض لهدى النبى ﷺ و أصحابه الذين لم يسقطوا عن أنفسهم من عبادة الله و لا مثقال ذرة ، بل بلغ بهم الأمر إلى بذل نفوسهم و مهجهم فى سبيل الله ، لم يدع أحد منهم علماً باطنياً ، و لم يزعموا أن العبد هو الرب ، لأن فيه من نواة حقيقته التى يجهلها الرسل فيما يزعم ضلال الصوفية ، فان هذا تطاول على وحى الله ، وأعظم افتراء على الله وانتقاص لرسله و أى انتقاص لرسله أفظع من زعم هؤلاء أنهم أعلم منهم و أنهم

يصلون إلى درجة يسقط عنهم فيها التكليف ؟

هذا كفران بسورة الفاتحة و غيرها من الوحى و كفران بمنزله و من أنزل عليه ، و العياذ بالله ، و هذا من عدم تحقيق الاستعاذة بالله عن صدق من الشيطان الرجيم ، من جنس الشيطان المبتعد عن الله من الجن والانس كما فصلنا ذلك فى باب الاستعاذة .

ومن تدبر معانى هذه السورة الكريمة و أخواتها و مفسراتها من من وحى الله المنزل على رسوله كتابا و سنة و هو صادق فى استعاذته من جنس الشيطان ، بابتعاده عنه و نفرته منه ، استنار بأنوار التوجيه التى تهديه إلى الاستقامة على عبادة الله ، و التزامها فى كل ميدان من ميادين الحياة ، حتى يموت على ذلك محتسبا و لا يجعل لنفسه حرية الشهوة أو ترك العمل ، دون برهان من الله بالرجوع إلى أمره وحكمه فيه ، و الله الموفق .

الثالث والستون بعد المأة : تقديم العبادة على الاستعانة فى هذه الآية الكريمة من باب تقديم الغايات على الوسائل ، ذلك أن العبادة هى غاية العباد التى خلقوا لها ، و الاستعانة وسيلة إليها ، و الحكمة فى ذلك التقديم هى أن المصلى وغيره من كل متلبس بالعبادة يقول - إنى شرعت فى طاعتك تحقيقاً لعبادتك ، فأستعين بك فى اتمامها و انجاحها على مايرضيك - و حتى المجاهد ، عليه أن لايغتر بقوة ساعده ، أو قوة عتاده أو كثرة زملائه ، و أعوانه ، بل يضرع إلى الله الذى جاهد فى سبيله بهذه الآية ضراعة الصادق طالباً مدده الأعلى ، الذى لا يغلبه شئ ، ففى ذلك ازالة للزهو ، و إفناء للنخوة و الكبرياء .

ثم إن العبادة لما كانت له جل و علا ، وجب تقديمها ، ولما كانت الاستعانه به سبحانه وتعالى ساغ تاخيرها ، قال ابن القيم رحمه الله : « و العبودية محفوفة باعانتين ، إعانة قبلها على التزامها والقيام بها . وإعانة بعدها على عبودية أخرى ، و هكذا أبداً حتى يقضى العبد نحبه » و قال الشيخ ابن تيمية : « تأملت أنفع الدعاء فاذا هو سؤال العون على مرضاته ثم رأيته فى الفاتحة فى (إياك نعبد وإياك نستعين) فهذا الدعاء بهذه الآية من حظ أهل العبادة لله ، والمعرفة به حقيقة ، ولذا علمه النبى ﷺ لحبه معاذ فقال يا معاذ « إنى أحبك فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة أللهم أعنى على ذكرك و شكرك و حسن عبادتك »

الرابع والستون بعد المأة : ضراعة عبد الله إليه بهذه الآية الكريمة مبتدءاً بـ (إياك نعبد) وطالباً منه العون التام عليها بـ (إياك نستعين) إشعار صريح منه بالتصميم على العمل ، و العزم التام على إكماله والمثابرة عليه طيلة الحياة فهو يطلب منه المعونة على أداء جميع ما تستوجبه عبادة الله فى كافة الشؤون ، و النواحى المتشعبة و المتجددة فى الحياة ، إذ لا يمكن أن يطلب الاستعانة قبل الشروع فى أداء الواجب مع صدق النية و العزم على التصميم و الثبات ، فان التصميم و الثبات و مداومة الصدق و الاخلاص يحتاج كل منها إلى معونة الله ، و مدده الذى يستطيع به عبده على مجاهدة النفس ، و دفع وساوس الشيطان الابليسى ، و مجابهة ما تقذف به شياطين الانس من وسائل الاغراء التى يجرى فى دفعها أعظم مكابدة لا يبلغ العبد الدرجة القصوى فى الثبات عليها إلا بعون الله و تسديده .

فكان من اللائق تقديم الضراعة من العبد إلى الله بـ (إياك نعبد) توسلا منه إلى ربه بما يرضيه من العبادة ثم يضرع إليه يطلب العون على الثبات عليها ، و التكيف بها فى كل شأن من شؤونه ، معترفاً بأنه لا معين له فى الحقيقة سواه ، و فى هذا تجريد التوحيد من الاستعانة بغيره و تحقيق المتابعة لوحيه من كتابه و سنة رسوله ، إذ من لم يحقق ذلك فليس عابداً لله ، و من سلك ما يخالف ذلك كان عابداً لهواه ، و متبوعه من دون الله .

الخامس و الستون بعد المأة : لما كان الارتقاء لا يحصل إلا بالايمان بالله عن استيقان كامل ، و حب و تعظيم له ، لا يعلوه غيره كان الحامد لله حمداً صحيحاً على نعمة و حسن تربية للعالمين . و عظيم رحمته وشمول ملكه وقهره ، واختصاصه بالحكم بين الناس فى الدار الآخرة يتقدم إليه بهذه الضراعة العظيمة ، الحبيبة إليه جل و علا (إياك نعبد و إياك نستعين) تلقيا منه لها بتعليمه إياه ، عازماً على تصديق ما أقر به من ذلك بالعمل المرضى لله ، من القيام بما أوجبه عليه فى منصوص وحيه من كتاب و سنة .

لأن الايمان به و الشكر لنعمه لا بد أن يتجسدا فى صور عملية ، إذ النطق الذى لم تصدقه الأعمال يعتبر كذباً و نفاقاً يستحق المقت ، كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وأيضاً فليس العمل مجرد حركات يأتى بها فى حالة صورية تقليدية بل لا بد من إفراغ الانسان روحه فيه واستيقاظه لمقاصد الله ، وحكمه فيه حتى يؤديه على الوجه الصحيح بخشوع وإخبات ، وحسن

نية و استشعار عظيم لوعد الله على الاتيان به . وحسن اتقانه ، ولوعيد الله على ضد ذلك ، و من هنا يصدق العبد فى ضراعته بهذا العهد لله ، على القيام بعبادته كما يصدق فى ضراعته بطلب الاستعانة منه على إكمالها و اتقانها ، و اخلاصها و المثابرة عليها و المصابرة فيها .

فبهذه القواعد التى ذكرنا غالبها و سنذكر ما تيسر منها - أقول - بهذه القواعد فتح الله لأهل دينه القويم أبواب الأمل و العمل ، لمن يبتغى الوصول إلى أسمى ما قدر له من كمال وجمال فى الدنيا والآخرة ، فان دعائم الارادة القوية ما ذكرناه وماسنذكره مما هو مرتكز على الطمع فى رحمة الله و نيل وعده و الخوف منه و الابتعاد عن موجبات سخطه . وحلول وعيده و بذلك يصل الانسان إلى المستوى الانسانى الصحيح ، الذى يرفعه عن الحيوانية بتاتا . و يحقق إرادة الله فيه ، لينخرط فى سلك عباد الله الصالحين . و ينال الحياة الطيبة بجميع معانيها فى الدنيا ، و يحظى برفقة النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين ، بمنازلهم العالية فى الدار الآخرة .

أما بدون ذلك فنصيبه الشقاء بالأزمات المختلفة المتلاحقة فى الدنيا ، والحيبة الكاملة فى الآخرة - قيل للحسن - إن قوما يقولون نحن نحب الله و يضيعون العمل ، فقال هيهات هيهات ، تلك أمانيهم يتأرجحون فيها ، من رجا شيئاً طلبه ، و من خاف شيئاً هرب منه » وسيأتى إن شاء الله مزيد التفصيل عند قوله تعالى فى سورة النساء (ليس بأمانيكم و لا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ...)

« يتبع »

مكانة الدولة فى الشريعة الاسلامية

(٢)

فضيلة الشيخ محمد اسحق الندوى
﴿معرب﴾

ولننظر إلى هذا الموضوع بمنظار السنة ونقرأ ما أشار إليه الرسول عليه الصلاة و السلام ، مؤكداً هذه الناحية المهمة للدين : فقد جاء فى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال : « من مات و ليس فى عنقه بيعة ، مات ميتة جاهلية » (١) وهذا جزء آخر من حديث طويل يلقى ضوءاً على الموضوع و هو « و إنما الامام جنة يقاتل من ورائه يتقى به ، فان أمر بتقوى الله و عدل فان له بذلك أجراً ، و إن قال بغيره فان عليه منه » (٢)

ومن المستحيل أن ننكر وجوب الجهاد فى سبيل الله ، إذن لابد له من وجود « جنة » يتقى بها ، و قد فسر العلماء كلمة « يتقى به » من ناحيتين ، أولاهما أنها تختص بالتدبير الحربى والسياسى ، أما بالنسبة إلى الناحية الثانية فيتوسع نطاقها إلى حد لانهاية له ، ويدخل فيه الصيانة من من كل ضرر مهما كان نوعه ، و لذلك فلا حاجة إلى الافاضة فى بيان أهمية هذه الناحية ، كما لا يمكن لأحد أن يتغافل عن واجب الجهاد فى سبيل الله ، و قد جاء فى الحديث الصحيح : « من مات

(١) صحيح مسلم ، كتاب الامارة ، باب لزوم الجماعة . (٢) المشكاة ، كتاب الامارة والقضاء .

ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق »

ولكن لا يمكن تصور الجهاد بدون وجود حكم اسلامى ، فاذا كان الجهاد مما يؤدى إلى النفاق إذا لم يحدث به نفس المسلم ، وإذا كان التشاغل عنه ضرباً من النفاق فكيف لا يكون التغافل عن إقامة حكم اسلامى والانصراف عن التفكير فيه شعبة من النفاق ، و بناءاً على الحديث الذى مر آنفاً يقول بعض العلماء : إن الجهاد فرض عين لا فرض كفاية .

و مما لاشك فيه أن الصحابة رضى الله عنهم إنما قاموا بواجب نصب الأمام و الخليفة قبل دفن النبى ﷺ ، فان كانوا لا يرون هذا الأمر العظيم واجباً من واجبات الشريعة ، و مهمة من مهمات الدين لما قدموه على الصلاة على النبى عليه الصلاة و السلام و دفن جسده المبارك ، ولم يؤثر فى ذلك أى خلاف عن أى صحابى ، وبكلمة أخرى : إن هذا الأمر ثابت باجماع الصحابة رضى الله عنهم .

و لندرس الجملة الآتية من خطبة سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه التى خطبها عقب وفاة النبى ﷺ .

« ألا إن محمداً قد مات . و لا بد لهذا الدين ممن يقوم به »

و المعلوم جيداً أن أحداً من المستمعين لم ينكر هذا القول ، ولااعترض عليه ، و لا رد هذا المبدء إنما أقاموه و عملوا به . إن كلمة « لا بد » إنما تشير إلى الوجوب ، وسكوت الصحابة رضى الله عنهم فى هذه القضية يرادف الاجماع .

فان قام بعدهم من يبدى اختلافه فى شئ منها فلا وزن لهذا الاختلاف بعد اجماعهم عليها ، ولكن الحقيقة أن جميع المسلمين من أهل

السنة متفقون على هذا المبدء منذ عهد الصحابة إلى هذا اليوم ، يقول العلامة ابن حزم فى « كتاب الفصل » « اتفق جميع أهل السنة و جميع المرجئة ، و جميع الشيعة و جميع الخوارج على وجوب الامامة . و أن الأمة واجب عليها الانقياد لامام عادل يقيم فيهم أحكام الله ، ويسوسهم بأحكام الشريعة التى أتى بها رسول الله ﷺ » (١)

ويقول العلامة القرطبى فى تفسير الآية « إنى جاعل فى الأرض خليفة » : « هذه الآية أصل فى نصب إمام وخليفة يسمع ويطاع لتجتمع به الكلمة ، وتنفذ أحكام الخليفة . ولاخلاف فى وجوب ذلك بين الأمة و لا بين الأئمة »

ثم يقول مستدلا بأعمال الصحابة رضى الله عنهم :

« فدل على وجوبها ، و أنها ركن من أركان الدين الذى به دوام المسلمين » (٢)

و يستدل صاحب « المواقف » من إجماع الصحابة رضى الله عنهم على اجماع أهل السنة فى هذه القضية ، فيقول :

« نصب الامام واجب عندنا سمعاً » أما صاحب كتاب « الدر المختار » فانه معجب باجماع الصحابة فى هذه القضية إلى حد كبير حتى يقول : « و نصبه (أى الامام) من أهم الواجبات »

و يشرح شيخ الاسلام ولى الله بن عبد الرحيم الدهلوى هذا الوجوب باللغة الفارسية و هذا معناه :

« إن نصب الخليفة الذى تتوفر فيه شروط الخلافة واجب بالكفاية

(١) كتاب الفصل لابن حزم ج٤ ص٨٧ (٢) تفسير القرطبى ج ١ ص ٢٦٤ .

على المسلمين إلى يوم القيامة » (١)

لقد ثبت من الكتاب و السنة و إجماع الأمة أن إقامة الحكم الاسلامى فريضة محكمة كفريضة الصلاة و الزكاة تعود على جميع المسلمين كواجب بالكفاية ، و إن الاعراض عن أداء هذا الواجب و الاهمال لشأنه على رغم القدرة على أدائها من المعاصى الكبيرة ، وذلك مثل فريضة الحج إذا تغافل عنه المسلم رغم تهيئ لزاد و الراحلة و الاستطاعة فقد ارتكب معصية لله و الرسول .

وبصرف النظر عن جميع هذه الشواهد والحجج يكفى لمن رزق فهماً سليماً أن يفكر أن جزءاً كبيراً من الأحكام المفروضة فى الشريعة الاسلامية كالحدود و القصاص و سد الجرائم ، و ما إلى ذلك يتوقف تحققها على الحكومة الاسلامية كما أن أول شعبة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر و أعنى بذلك تطبيق الأحكام الشرعية على الحياة بالقوة و منع الناس عن المناهى والمنكرات لا يمكن بدون حكم اسلامى ، بل وإن الحكم الاسلامى معناه أن تنال الأحكام الشرعية كلها مكانتها من التطبيق و العمل ، و تنتهى المنكرات و القوانين الجائرة عن المجتمع ، و يجتمع الناس كلهم حول رايته فى جميع أمور الحياة .

و لا بد هنا من الاشارة إلى أن ما يتوقف عليه الواجب يحل محل الواجب أيضاً ، فلامساغ للشك فى أن إقامة الحكم الاسلامى واجب كبير لا يتجرد عنه المسلمون كما أن العمل بالاحكام الشرعية واجب لا يخلى عنه المسلمون .

(١) إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء ، المقصد الأول ، الفصل الأول .

و هنا نكتة تستدعى الانتباه : و هى أن الحكم الاسلامى ليس معناه الحصول على السلطة المطلقة ، و هو ليس مطلوباً بالذات ، بل إن الحكم الاسلامى اسم لسيطرة الاسلام و قوته و نفوذه فى الحياة ، و هى سيطرة تحصل للأحكام الاسلامية لاللحكام ورجال الحكومة ، و لاشك أن إيجاد هذه السيطرة الخاصة ناحية مهمة للدين ، و هى تتصل بالحياة اتصال الواجبات الأخرى بها كالصلاة و الصيام و الحج ، و مطلوبة لتكون وسيلة لتطبيق الأحكام الشرعية و تنفيذ كلمة الاسلام .

و لو أن هذه القضية لم تكن بحاجة إلى هذا الشرح الطويل لأنها واضحه غنية عن أى شرح طويل ، و لكن الذى ألجأنى إلى ذلك هو وجود طائفة من الناس ينكرون وجوب إقامة الحكم الاسلامى ويضللون المسلمين ببث هذه الفكرة البعيدة عن منبع الاسلام الصافى ، التى لايقربها الاسلام فاحفظنا أللهم من الفتن .

خطورة الكلمة فى مجتمع الجاهلية الجديدة

بقلم الأستاذ منير العكش
« حلب »

و إذا كان فقدان المدلولات الحسية للألفاظ و الشعارات النبيلة ، و ظهور الفئات المتقدمة نحو الأسوء من الأمراض التى اقتضتها طبيعة حياة الجاهلية الجديدة ، فان القهر السياسى حين أراد للطليعة المسلمة أن تنفى ، أو تشرد ، أوتزج فى غياهب السجون ، أو تختنق منابرها وصحفها و مجلاتها التى سعت فى معالمها بوادر الحياة ، كما نسمع فى كل يوم ، فانما أراد بذلك أن يعزل المجتمع عن الشريعة الصافية والدين الخالص والتراث العربى القديم ، ليضرب عليه حجاباً لايرى من بعده النور ، ثم يتركه فريسة فى مخالب الجاهلية الجديدة ، تظاهره على ذلك غرانيق الكلمة ، واجهات الاصلاح المزعوم ، هذه الواجهات التى نخرت فى عظامها الأمراض جملة ، فتخبطت موجات اصلاحها !! فى دوامة الكلمة الممنونة الجوفاء ، تدوخ بها العامة الساذجة ، و تسقطها عليها من على إدراك المنابر كورق الخريف المتيبس الذابل ، لأنه يعز على هذه الغرانيق و الأنصاب أن تحول فى أوصال الاسلام المرتهكة جولان الحياة من جديد ، أو أن ترى ضباب الكلمة يتقشع عن عيون الناس المحذرة .

ولا ريب فى أن انعزال الطليعة المسلمة عن قاعدة الهرم الاجتماعى سبب من أسباب التخلف ، ولكن ظاهرة الانفصال مابين القول والفعل فى حياة المستأجرين للاصلاح المزعوم من غرانيق الكلمة أنكر و أخطر

وأدهى ، فمعظم المتكسبين بالكلمة يعدون بالمستقبل المشرق الباسم و هم فى غمرة الظلمة الداجية ، و يخطبون ويكتبون و يحذرون من الضلالة ، و هم فى قرارة أنفسهم المريضة يتشهو نها و يتلهفون عليها .

فالاصلاح ، و التهذيب و المواعظ ، و الخطب ، و الامامة ، وقراءة القرآن ، صناعة بأجرة ، و مهنة ذات منفعة ونقابة ، وعلى ذلك فقد غادرت رقابة الله كثيراً من المؤسسات النبيلة كدور الفتوى فصيرت الدين بضاعة رخيصة فى أسواق السياسة و ألعوبة يرجحها الساسة بين يدى صبواتهم ، فكم من صحيفة ، و مجلة ، و منبر للاسلام !! ليس للاسلام منها الا التحريف و التشويه ؟ ذلك لأن أصحابها من غرانيق الكلمة هان عليهم اسلامهم و ربهم ، فباعوا ضمائرهم الأنصاب السياسة بثمن بخس ، وقد استفحل هذا الداء مع ظهور الأنظمة المادية للاسلام فى اطار الأرض الاسلامية ، و مع سياسات القهر التى اتخذت دور الفتيا المقهورة و المجلات الماجورة واجهات لشذوذها و انحرافها عن الدين ، و بذلك فقدت هيبتها و احترام الناس لها ، فالولد الذى يسمع من أبيه المؤدب الأمر بالصدق و النهى عن الكذب ، لا يستطيع أن يدرك لنهايتى الفضيلتين معنى و قيمة إلا إذا رآهما تسعيان فى حياة أبيه .

لقد كان من فضل الله و حكمته أن اختار لنشر دينه أمة لا تكتب و لا تعرف فصل ما بين القول والفعل ، فكتابها الصحراء اللاهبة وفلسفتها فى قعقعة السلاح و خفق السنابك ، ألم يكن فى استطاعة أبى طالب أن يشهد لابن أخيه محمد ﷺ بالرسالة و التوحيد ، و روحه تتغرغر فى لهاته بين يدى رسول الله ﷺ ، وقد استحل الرسول لعمه بهذه الشهادة شفاعة يوم القيامة ؟ لقد كان أبو طالب يدرك خطورة الكلمة . و يعلم

حقاً إن شعار « الشهادة » قاعدة لمنهج كامل تقوم عليه الحياة و يعرف معنى السبة التى سترددها أفواه الأقيال من قريش إذا ما راودته نفسه عن الصبوة .

و كذلك كان عيسى عليه السلام رمزاً للكلمة الموحدة ، الكلمة التى تنبض بالحياة والحركة والخصب ، وتشع مثل ماسة فى ضحى النهار ، و تصبح آية فى التوحيد و المزج ما بين القول و الفعل ، فتنشئ أمة و تعمر حضارة .

و الكلمة فى اللغة حيثما تقلبت وتصرفت ، فمعناها الدلالة على القوة والشدة . فمنها « الكلم » و هو : الجرح ، و منها « الكلام » و هو : ما غلظ من الأرض و ذلك لشدته و قوته . و لما كان الكلام أكثره إلى الشر - كما يقول ابن جنى - اشتق له من هذا الموضع . قال البحترى :

عتاب بأطراف القوافى كأنه عتاب بأطراف القنا المتكسر

و لخطورة ما فى القرآن من كلم و قول ثقيل نجمه الله على الناس تنجيماً . وما كان الصحابة يجاوزون آية منه قبل أن تدك أركان الجاهلية فى أنفسهم و أهليهم . أما العامة اليوم فأكثر الذين يقرأون القرآن منهم جملة واحدة ، فى ليلة أو بعض ليلة ، و لكن لا ترى عليهم من أثر القرآن إلا ما خف و شف .

و أخيراً فالخطر محدق بهذا الدين ، متربص بأهله ، مكشر عن حقده ، ولاسلاح سوى الكلمة والكلمة ميتة يكدى بها المصلحون الجدد ، و يخدرون بها الناس ، و يفرغون حماستهم إلى الجهاد بالتنهيدة والحسرة و ينالون بذلك ما لا ينال العدو الألد ، فتى نعى حديث الرسول عليه السلام : من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » ؟ .

- الدعوة الاسلامية ليست ضرورة خلقية و حاجة اجتماعية و مصلحة بشرية كما يزعمها بعض المسحورين الذين يخافون على أنفسهم تهمة الرجعية فى كل حين بل إنها قبل كل شئ . الطريق إلى الدار الآخرة . « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون »
- إنها تختلف عن سائر الدعوات فى التفكير و المنهج و العمل ، وتجمع بين الشعور و الوجدان والعاطفة و العقل ، و تهتم بالفرد الواحد مثلما تهتم بمجموعة الأفراد .

الدّعوة الإسلاميّة

- إنها دعوة الأنبياء و المرسلين ، والخلفاء الراشدين ، و الصحابة و التابعين و هى تريد أن تحافظ على خصائصها و سماتها ، و قسماتها و ملامحها رغم سيل المادية الجارف ، ورغم سيطرة القيم الغربية ، ورغم « العلم المزعوم الموهوم » و رغم ما يعانيه « المتحضرون » من ضيق الصدر ومركب النقص ، و مايعتريهم من خجل و حياء واستكاف عن تمثيل هذا الطراز القديم الكريم ، الذى وعد الله به النصر المبين فى الدنيا و الدين .

القرآن يدعو إلى دراسة الكون

الدكتور محمد رفيع الدين (ايم اے)
(مدرب)

لماذا يدعو القرآن إلى دراسة الكون ومشاهدة آيات الله فى الآفاق و الأنفس ، و لماذا يلح على هذه الدعوة ؟

و ذلك لأن تعاليم القرآن تقوم على أساس ما أودع فى طبيعة الانسان من حب الله سبحانه و تعالى ، و ترتكز على هذا المبدء ، فما لم يمثل الانسان هذا الحب والتفانى فى ذات الله ، فى حياته بتوجيه الحمد إليه و القيام بواجبات العبادة و الطاعة لا يمكن أن تنشأ شخصيته على حب الوصول إلى درجة الكمال الانسانى ، ولا يتمكن من تحقيق هذا الكمال ، كما أن شخصية الانسان لا تستطيع أن تعرف معنى الراحة و الهدوء الذى يتوقف على كماله ، لا فى الحياة الدنيا و لا فى الآخرة .

إن تكميل شخصية الانسان عن طريق حب الله هو الغاية القصوى من خلق هذا الكون ، و لكن هـذا الحب الذى أودعه الله فى طبيعة الانسان لا يمكن أن يتيقظ بغير معرفة الله سبحانه وتعالى والتقرب إليه ، و الطريق إلى معرفة الله هو أن يدرس الانسان هذا الكون و ما خلق الله فيه من عجائب وغرائب ، ويفكر فيها حتى يدرك مدى عظمة تلك الذات التى خلقت هذا الكون الهائل و يتعرف صفاتها و قداستها و كمالها .

أما فكرة وجود هذا الكون بنفسه - كما يزعم كثير من علماء الطبيعة الملحدين - فلا يمكن أن يقتنع بهذه الفكرة من رزق فهماً سليماً ، و عقلا هارئاً ، إذن لا بد له من خالق عظيم لا تدركه الأبصار ، وأى شهادة أكبر على وجوده من خلق السماوات و الأرض « أفى الله شك فاطر السماوات و الارض »

و من المعلوم أن كل صنعة تنم عن صفات صانعها و تجليها ، و تدل على مدى صلاحية الصانع و عزائمه و غاياته و مؤهلاته ، كذلك الصانع الحقيق و لوكان مختفياً عن أعين الناس و لا يراه أحد متجسداً مشخصاً ولكن الانسان يشاهد مظاهر قدرته و صفاته فى كل شئ .

و من خواص كل ذات أن تستتر عن الأبصار المادية سواء كانت ذات (١) الانسان أو ذات الله ، و لا يخفى أن الطريق الوحيد للاطلاع على ذات أحد ممن نعرفه و نحبه من الناس أن نشاهد مظاهر صفاته الداخلية التى تتمثل فى أعماله و أفعاله ، و ندرس القيم المعنوية التى يحملها فى باطنه من طريق حياته التى يعيشها ، كذلك نحتاج إلى معرفة ذات الله و الاطلاع عليها إلى أن ندرس مظاهر صفات الله سبحانه الخفية و نشاهدها فى الأمور الكونية و أحوالها و ظروفها و أحداثها مشاهدة حقيقية .

والمراد من أن الله سبحانه خالق الكون أنه يوجد فى هذا الكون بصفاته و كبريائه ، فلا ينفك الكون عن ذات الله سبحانه و تعالى وإنما هو متلازم لذاته و وجوده لا يستغنى عنه فى أى حال ، و ليس هـذا

(١) يريد بالذات هنا كوامن القدرة والقيم المعنوية التى لا تتجسد فى المظاهر .

الكون إلا مظهراً من مظاهر صفات الله تعالى فان اختفت هذه المظاهر التى تدل على صفات الله سبحانه و تعالى و تجليها فى هذا الكون ، و لم يبق له وجود .

و لأجل ذلك حينما يدعو القرآن المؤمنين إلى أن يذكرو الله فى فى كل حين قياماً و قعوداً و على جنوبهم يطلب منهم أن يتفكروا فى هذا الكون و ما خلق الله فيه من آيات بينات كالسماوات والأرض يقول : « الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم ، و يتفكرون فى خلق السماوات و الأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار »

و من هنا يعتبر القرآن مظاهر قدرة الله سبحانه فى هذا الكون آيات بينات على ذات الله و صفاته العظيمة ، فيقول : إن فى خلق السماوات و الأرض و اختلاف الليل و النهار لآيات لأولى الألباب » و يقول : « و فى الأرض آيات للمؤقنين و فى أنفسكم أفلا تبصرون » « و آية لهم الأرض الميتة أحييناها و أخرجنا منها حباً فمنه يأكلون » « إن فى خلق السماوات و الأرض و اختلاف الليل و النهار و الفلك التى تجرى فى البحر بماينفع الناس ، وماأنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »

و يؤكد هذه الناحية بمزيد من البحث عن آياته فى نفس الانسان فيقول : « و من آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ، و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، و جعل

بينكم مودة و رحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، و من آياته منامكم بالليل و النهار ، و ابتغاؤكم من فضله ، إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ، ومن آياته خلق السماوات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم ، إن فى ذلك لآيات للعالمين » « و آية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون » و الآيات فى هذا المعنى كثيرة .

وقد فرضت الشريعة الاسلامية على المسلمين أن يستخدموا حواسهم فى مشاهدة مظاهر الكون وآيات الله فى الآفاق والأنفس ، ويفكروا فيها من أعماق قلوبهم ليستنتجوا منها نتائج صحيحة ، فان ذلك هو أساس العقائد و الأعمال الصحيحة ، فى ضوء تعاليم القرآن ، فقد اعتبر القرآن من لهم أعين و آذان و قلوب و لكن لا يستخدمونها فى محلها الصحيح كالأنعام أو أضل من الأنعام ، فقال : ولقد ذرانا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل »

و سيأخذ الله الذين لا يستخدمون حواسهم و مشاعرهم و عقولهم و قلوبهم فى التفكير فى آيات الله و مظاهر الكون لأجل عصبية جاهلية أويضيعون طاقاتهم فى التفكير الخاطئ ، يقول القرآن : « إن السمع والبصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا »

كما ينهى القرآن المسلمين عن المرور عن آيات الله معرضين عن التفكير فى مظاهر الكون وآياته فى السماوات والأرض ، فان ذلك يحول دون الحصول على معرفة الله ، و لا يتيح فرصة التقدم فى مضمار الحب و تكميل شخصيته ، يقول « و كأين من آية فى السماوات والأرض يمرون

عنها و هم معرضون »

إن ترك التفكير فى مظاهر آيات الله فى الكون ، و الاستهانه بشأنها بحيث لاتتضح حقيقتها على وجهها يرادف الاعراض عنها ، ومعنى ذلك أن المسلم مامور بأن لا يصرف النظر عن آية من آيات الكون إذا واجهته ، بل و يجب عليه أن يقوم بمشاهدتها والتفكير فيها بجد و صرامة ، ويتبين حقيقتها بغاية الاهتمام حتى يطلع على حكمة صنع الله التى تختفى فيها تمام الاطلاع ، كأن المسلم مأمور من قبل الله سبحانه وتعالى بالتفكير فى هذه الآيات والمظاهر لتتكشف عليه الحقيقة ، وما لم تتبين الحكمة فى قدرة الله لا يمتنع عن التفكير ، بل يستمر فيه حتى يتضح له الحق و الحكمة ، و قد علم النبى ﷺ أمته دعاء يؤيد هذه الفكرة ، وهو هذا « أللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، أللهم أرنا الأشياء كما هى »

إن هذا الدعاء يؤيد فكرة التحقيق العلمى للأشياء ، لأن فكرة التحقيق العلمى التى تركز جهودها على الأخذ بالحيطة فى تنظيم نتائج المشاهدات الكونية تهدف إلى أن تبدو الأشياء على حقيقتها كما خلقت .

إن وجهة نظر القرآن تؤيد وجود آيات الربوبية و الخالقية فى كل نوع من أنواع العلوم الكونية الثلاثة : و هى :

١— أولا : العلوم الطبعية : حينما يستلفت القرآن أنظار الناس إلى مظاهر القدرة و آياتها يذكر الشمس والقمر و النجوم و كيف تسبح كلها فى السماء ، وتتبع الطرق المعينة لجريها ، و يذكر السحاب المسخر و البرق ، و الرياح و اختلاف الليل والنهار ، و نزول المطر ، ونقص

القمر وزيادته ، والجبال الراسيات والأرض ، ورتق السماء والأرض ، ثم تفتقهما ، و ما إلى ذلك من مظاهر كونية كثيرة ثم يدعو إلى مشاهدتها ودراستها ، فان قمنا بدراسة آيات الله فى الكون دراسة عميقة ، واطلعنا على حقيقتها و حكمتها وما تحمل هذه الحقيقة من حكم و أسرار فى خفاياها أنتج ذلك تحيز العلوم الطبعية (Physical-Sciences) كلها إلى الوجود ، و ذلك لأن الحقائق العلمية كلها تشكل نظاماً ترتبط فيه جميع الأجزاء عقلياً و منطقياً و تدل بعضها على بعض .

٢— ثانياً : العلوم البيولوجية : كذلك يستلفت القرآن أنظارهم إلى مظاهر الكون فى العالم البيولوجى فيذكر نبات الأرض ، والزروع المخضرة ، و إنبات الحبوب و الثمار و الفواكه ذات الألوان و الأكل المختلفة ، و حياة كل حي من الماء ، و بدء خلق الانسان من طين ، والاشارة إلى أن النسل البشرى مصدره الأرض ، وانتشار كل حيوان فى الأرض ، و طيران الطيور فى الهواء ، و الأنعام ذات المراكب و اللبن و وجود زوج من كل شئ حتى النبات ، وخلقة الأبل العجيبة ، وخلقة الانسان التى هى أعجب من كل شئ ، وإنعامه على الانسان بنعمة العقل والذكاء ، و تغير الجنين فى بطن الأم و تحوله من حال إلى حال ، يذكر جميع هذا و ما إلى ذلك من مظاهر الكون ، ثم يوجه الدعوة إلى الانسان لدراستها حتى إذا نزل فى أعماقها و درسها دراسة متقنة ، و اطلع على ما فيها من أسرار و حقائق لأنتج كل ذلك تحيز العلوم البيولوجية (Biological Sciences) كلها إلى الوجود فى شكلها النهائى .

٣— ثالثاً : العلوم النفسية : و كذلك بالضبط يلفت النظر إلى عالم

النفس و مظاهر الكون فيه ، فيذكر بعض الوقائع و القوانين المهمة فى التاريخ البشرى ، و يشير إلى بعض قواعد الفطرة الانسانية الأساسية و حقائقها ، مثلا يذكر القرآن كيف جاء الأنبياء عليهم السلام متتابعين وقالوا لأمة الأرض ، إنا رسل ربكم جئنا لنخبركم أن الله هو الاله الحق و هو الذى خلق هذا الكون ، و كيف أجاب بعضهم دعوة الرسل ورفض البعض ، وكيف غمر قلوب المؤمنين الهدوء والطمأنينة حتى استعدوا لمواجهة كل بلاء و هوان فى سبيل الله ، و آثروا الموت على الانحراف من الايمان ، و لكن كيف كانت عاقبة الكافرين ؟ !

كما يذكر القرآن أن حب الله مودع فى طبيعة الانسان و هو خالد لا يزول ، ولذلك تطمئن القلوب بذكر الله ، وأن البشرية كلما انحرفت عن فطرتها الأصيلة و تاهت فى متاهات الضلال تبددت و تشتتت ، و ذهبت ريحها و امحت آثارها و معالمها ، و أن لا سبيل إلى وحدة البشر و تركزهم على مركز واحد إلا أن يرجعوا إلى الله ، ويخضعوا له وحده ، ويذكر القرآن ما يتمتع به الانسان من مقياس التميز بين الخير و الشر ، و الجيد و الردىء ، و مهما تغافل عنه الانسان و انصرف و لكنه مشتغل بوظيفته .

ثم يشير القرآن إلى بعض مناحى اللاشعور فى الانسان التى اهتدى إليها بعض علماء النفس أخيراً ، وهى أن أعمال الانسان كلها صغيرها وكبيرها تتجمع فى خلايا شعوره ككتاب محفوظ ، فلما مات انفتح عليه هذا الكتاب المحفوظ و وجده حاضراً يقول له : لم يبق أى صغير و لا كبير إلا أحصيته .

هذا ، و لا بد من أن يواجه الانسان حقائق الحياة و الكون مما يتصل بعلم النفس إذا تعمق فى هذه المعانى و المفاهيم وأحاط بأسبابها وخفاياها وعواملها و أسرارها بما يستطيع ، وهنا لك تتحيز جميع العلوم الانسانية و النفسية (Human Sciences) إلى الوجود .

إذا عملنا بما أمر به القرآن من التفكير فى آيات الله و مظاهر الكون أنتج ذلك وجود العلوم الطبيعية بجميع أنواعها كسلسلة من آيات الله فى هذا الكون المادى ، ولاشك أن فكرة التحقيق العلمى والعلوم الطبعية التى أوجدها المسلمون مصدرها هذا القرآن و تعاليمه ليس غير .

و بما أن علماء الطبيعة الكافرين منهم و الملحدين إنما يشاهدون آيات الله فى الكون مجردين عن عقيدة الاله ، و التصور الصحيح للحياة لا يستطيعون أن يصلوا منها إلى النتيجة الصحيحة ، فلا يتمكنون من تصور صفات الله فيها ، و الاعتقاد بذاته ، و لا يتخلصون من حيرة الضلال التى تغشاهم ، فيتيهون فى مهامه الغواية على رغم ماأحرزوه من انتصارات بالغة فى هذا المجال .

٢

الحرية فى الاسلام

الأستاذ محمد جلال كشك

نشرت الحلقة الأولى لهذا المقال فى العدد الاول للمجلد ١٢
فليرجع إليه لتكون القراءة متصلة .
التحرير

إن حرية الفكر هى حرية الخطأ .. هى التسليم بأن العقل البشرى متساو ... وأنه لا سبيل - حتى الآن - لحصر الصواب فى جانب واحد أو فى فئة معينة من بنى الناس ... و توارث هذا الفهم ... و لو سلمنا بأن أجوبة العقول الالكترونية هى الصواب الأبدى ، فستقضى على التقدم ، لأنها تجيب من حصيلة المعلومات البشرية ، الدائبة على التغير ...

إذن فالسبيل إلى أقرب صواب ممكن ، هو حرية التفكير وعلى أوسع نطاق ... برفع القدسية عن الفكر البشرى ...

فما هو الموقف عند العرب المسلمين ؟ ..

عندنا أن الله وحده .. هو الحق المطلق .. والصواب الأبدى .. و هذا الصواب لا ينتقل لبشر . و لو كان ثمة من لا يخطئ من البشر . أو قل لو كانت هناك امكانية وجود عقل بشرى لا يخطئ لكان رسول الله ﷺ . و لكننا نؤمن أن العصمة لله وحده .. فالرسول يخطئ فيعاتبه الوحى و يراجعه :

« عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى ، أويذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى ، فأنت له تصدى ، و ما عليك ألا يزكى و أما من جاءك يسعى و هو يخشى فأنت عنه تلهى » .

« يا أيها النبى اتق الله و لا تطع الكافرين و المنافقين ، إن الله كان عليماً حكيماً » « و تخشى الناس و الله أحق أن تخشاه » .

و الرسول يشير فيخطئ ، فيرجع إلى الحق .. أمر أصحابه أن يكفوا عن تلقيح النخل « لو تركتموه لأثمر .... » فلم يثمر النخل ... و جاؤا إلى الرسول ، فنفض يده من الأمر و اعترف « أنتم أعلم بأمور دنياكم » بينما كان ستالين يفتى فى اللغة و الأدب و القوميات و يوصف بأنه ملهم فرق الدبابات ، و راقصات الباليه ! . .

و المسلمون يناقشون الرسول ، فينزل عند رأيهم . . .

لما خرج ، صلوات الله عليه ، بالمسلمين فى أول غزوة ، نزل بهم موضعاً أراد أن تعسكر فيه جيوش المسلمين فى انتظار وصول العدو ، فجاءه واحد من المسلمين ، هو الحباب بن المنذر . . يرسى قواعد الديمقراطية الاسلامية . . بدأ بأن سأل الرسول : « يا رسول الله . . أرأيت هذا المنزل (الموضع) أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، و لا نتأخر عنه ، أم هو الرأى و الحرب و المكيدة ؟ » .

واضح أنه إن كان منزلا أمر الله به . . فكما قال الحباب بن المنذر : هنا ينتهى النقاش و يبطل الاجتهاد . . و يرد الصادق الأمين : « بل هو الرأى و الحرب و المكيدة . . » أى أن هذا الموضع هو من تدبير الرسول . . من فكره و كخطة عسكرية وصل إليها . . و لا يناقش

المسلم ولا يتردد بل يراجع رأى الرسول ، صلوات الله عليه ، ويقول : « يارسول الله فان هذا ليس بمنزل (أى ليس بالموضع المناسب) فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء . . ألخ »

ها هو الرسول فى أول حرب يقود فيها المسلمين . . و ها هو أول قرار عسكرى يتخذه . . يراجعه فيه جندى فى الجيش . . فماذا يفعل ؟ . . أى قائد عسكرى كان سيرفض التنازل عن رأيه ، و ربما التمس له المؤرخون ألف عذر . . إذ لا شك فى خطورة الموقف على معنويات الجنود . . ولكن رسول الله يبنى أمة بل يضيئ الطريق للانسانية كلها . . و لا بناء للأمم ، و لا أمل للانسانية إلا بالمواطنين الأحرار . . إلا بالديموقراطية الحقة . . بحرية التفكير بقبول النقد و ممارسة النقد الذاتى . .

لذلك يقول رسول الله : « لقد أشرت بالرأى » و نهض رسول الله و من معه من الناس إلى حيث أشار الحباب بن المنذر . .

و انتصروا بديموقراطية الرسول . . بل بالمعنوية الهائلة التى يمتلكها الرجال الأحرار .

هكذا كان سلوك الرسول . . و من ثم ليس فى الاسلام جبهة دينية ولاسلطة زمنية لها وحدها حق الاجتهاد . . بل لا يطلب الاسلام من المسلمين فرض دينهم بالقوة . . و هو الصواب المطلق و ارادة الله . . و مع ذلك فان القرآن يعلن :

« لاإكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى » انتهت مسؤلية الاسلام عند هذا الوضوح ، عند تبين الرشد من الضلال ، و أصبح كل انسان

يتحمل مسؤولية اختياره . . و يعلن القرآن للرسول « إنك لا تهدى من أحببت و لكن الله يهدى من يشاء » .

« فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر » . . فحرم فى ديننا اجبار الآخرين على اعتناق الاسلام . .

أما فى داخل الفكر الاسلامى ، فحرية الخطأ ليست ، فقط ، مكفولة ، بل يثاب عليها .

ولست أظن أن فلسفة أو نظاماً قد شرع أن « للمجتهد إن أصاب أجران و إن أخطأ أجر » . . ليس فى تاريخ البشرية تحريض أوضح من هذا على التفكير الحر . .

أمثال هذه الأمة لا تعرف الحرية لأنها لم تشتقها من « ليبرتيه » ؟ ! !

و ما دامت المساواة قد تحققت بين العقول . . فان التصويب حق لكل مواطن ، بل فريضة . . فمن رأى منكراً فليغيره بيده أو بلسانه . . أو بأضعف الايمان ، و هو القلب . . فالاسلام يأمرنا - كحد أدنى - أن نستنكر الزيف بقلوبنا . . إذا ما فرضت السلطة الخطأ و كنا أضعف من أن نواجهها ، لا أن نرى الحق فيما تراه القوة .

و إذا استند الباطل إلى السلطة ، حقت الثورة . . و الذى يحرض على ذلك هو أمير المؤمنين عمر . . يأمر بقتل الخليفة المنحرف ، فيراجعه طلحة : « فهلا قلت لو انحرف عزلوه . . » فيأبى عمر : « لا . . القتل أنكل لمن بعده » . .

إذن فليس فى الاسلام ظل لله على الأرض . . و قد حرص

المسلمون على تسمية سلطانهم « خليفة رسول الله لا خليفة الله » . . . و يخطئ السائحون من المستشرقين عندما يطوفون بالتراث الشرقى ، و يلتقطون بعض الألفاظ من التراجمة ، فيعقدون مقارنات بين خليفة المسيح و خليفة رسول الله ، و وجه الخطأ أن رسول الله لا يمت للالوهية بشبهة ، بل هو بشر يمشى فى الأسواق ويكلم الناس . . يتزوج و يطلق . . و يموت . . « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » و هو يخطئ و يصيب ، فبالتالى لا قدسية لخليفته . . و الطاعة المفروضة لهذا الخليفة هى نتيجة العقد الذى يقوم بينه و بين المواطنين بالبيعة . . . و ليست بسبب شئ خارق يحل فيه بمجرد انتخابه !

لا أريد أن أطيل . . المهم أن الفكر البشرى ، فى ظل الاسلام ، حر مائة فى المائة . .

أما أن تحاسبنا يا هذا بعصور الانهيار فليس ذلك عدلا و لا علماً . . لأن كل الحضارات تمر بمراحل ازدهار ، و أدوار انهيار . .

و كل الحضارات تتحصن فى مرحلة انهيارها بقوقعة تعصبها . . . حتى لا يفتك بها ازدهار خصمها ، فاذا شئنا أن نرجع الأمور إلى جذورها وجب أن نبحث فى جوهر الاسلام الحقيقى أو نقارن التخلف بالتخلف . . لا أن نأتى بعصر المماليك . . بل بأسوء عصور المماليك . . أو عفن محمد على ، فنواجه به أوروبا فى قمة تألقها . . و نخرج من ذلك بحكم خاطئ ظالم على حضارتنا ! . .

إن العقل الاسلامى الحر ، استطاع أن ينطلق إلى آفاق لم يجرؤ غيره على الاقتراب منها لمدة قرون . . حتى إن المسلمين يأتون رسول الله

فيقولون : « إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به . . » فيقول الرسول : « و قد وجدتموه ؟ ! » قالوا : نعم ! . . قال : « ذلك صريح الايمان ! » . . و سئل النبى عن الوسوسة فقال : « تلك محض الايمان » . . والمسلمون يتساءلون حتى فى الآيات . . فينسخ سبحانه وتعالى ما سطر قدره فى اللوح ، من قبل أن يخلق الخلق . . و بارادته نزلت و بمشيئته نسخت . . و بالحق أنزله و بالحق نزل . .

وعمر يسجل احتجاجه على الاهتمام بالحجر الأسود فيقول : « إننى أعلم أنك لا تضر و لا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك مافعلت »

و يختلف المسلمون حول الفلسفة الالهية ، بل حتى الذين عذبوا مخاليفهم يؤكدون حرية الفكر الاسلامى ، إذ أن هذا التعصب ليس من الاسلام ، بل هو من الطبيعة البشرية التى تخشى الفكر المخالف بينما ينهى الاسلام عن هذا التعصب .

و تكتمل حرية الفكر فى الاسلام بحرية الضمير . . إذ لا سلطان خارجى على الضمائر ، و الناس لا تحاسب إلا على ما تعلنه . .

بل الأمر أروع من هذا . .

عن أبى هريرة قال : لما نزلت على رسول الله ، ﷺ « لله ما فى السماوات و ما فى الأرض ، و إن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ، فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء ، و الله على كل شئ قدير » قال فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ، ﷺ ، فأتوا رسول الله ﷺ ، ثم بركوا على الركب ، فقالوا : أى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلفنا من الأعمال ما نطيق ، الصلاة و الصيام و الجهاد والصدقة ، و قد نزلت

عليك هذه الآية و لا نطيقها ، قال رسول الله : أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا ، بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا و إليك المصير ، فلما قرأها القوم ذلت بها ألسنتهم فأنزل الله فى أثرها « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه و المؤمنون كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرق بين أحد من رسله و قالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير » . فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . . » إلى آخر الآية .

و لا يحاسب المسلم إلا على ما ارتكبه . . و لا تعاقب السلطة إلا على ما يثبت بالدليل القاطع أو الاعتراف . . و يأبى الاسلام اذلال النفس بتعريتها أمام بشر آخر . . بل هو يأمر فى حالة الابتلاء بالستر .

ألست ترى معى أنها قيم غاية فى الروعة ، تستحق ما نالته من خلود . . و أنها قيم يطيب الموت فى سبيلها ؟ . .

الفضل للاسلام

ليس لقطر من الأقطار أن يمن على الاسلام بأنه فسح له فى أرضه ، و إنما الفضل و المنة للاسلام على كل قطر ، فقد ألقى عليه درساً فى التوحيد الذى لايشوبه شرك ، و حب الانسانية العامة و احترامها ، و وسع أفق خياله فصار يرى للحياة معنى غير معنى ، وللانسانية مستوى أرفع من مستواها القديم ، و عالماً أفسح من وكره الذى يعيش فيه .

أبو الحسن على الندوى

- الفقه الاسلامى فقه حى مساير للزمن - معاذ الله - بل إنه سابق للزمن ، وإمام الزمن أبعاده غير أبعاد القوانين الأرضية الوضعية ، ومنبعه غير منبعها ، فهو يختلف عنها فى الغاية والوسيلة ، والصورة والحقيقة .
- إنه كنز لم يفتح إلا شطره الأول و لايزال شطره الثانى يحمل من عجائب حكمة الله و أسراره البالغة ما يأخذ بالألباب .

الفقه الإسلامى

بقلم

- إنه يراعى نفسية البشر و خلجات النفس الانسانية و يدرك مساربها الخفية ومخابئها المستورة ، ويسعف الانسان فى كل صغير و كبير بنور واضح مبين « ألا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير »

القطائع فى الاسلام

(٢)

الأستاذ محمد تقى الأمينى
مدير القسم الدينى بجامعة عليكره

غاية القطائع فى الخلافة :

و أما غايتها فهى تتعلق بعمارة الأرض و مصالح العامة ، و الخلافة تجتهد أن لايبقى شخص عقيما غير نافع ، ولا أرض مواتاً بغير زراعة ، و الأقطاع فى زمنها أوفى لغلة الأرض و أعم نفعاً لخاصتهم وعامتهم ، و لو لا ذلك لم يكن للقطائع ذكر فى الاسلام ، ولم يقطع أحد قدر شبر من الأرض .

قدر القطائع فيها : و أما قدر القطائع فهو يختلف باختلاف الأحوال و الأشخاص و الأراضى ، فالذين يستعدون للزراعة يقطعون قدراً يتأتى العمل به ، وتتيسر لهم عمارته ، قال الشيخ ولى الله المحدث الدهلوى : لا يقطع إلا قدراً يتأتى العمل به (١) و الذين لا يستعدون لعمارتها لاشتغالهم بأمور العامة و الخلافة يقطعون قدراً يجلبون الرزق بالمزارعة أو الاستيجار ، كما فى الحديث : كانوا أهل ديوان أومقطعين (٢) و قال العينى : يجوز للجندى الذى يقطع له أن يوجر ما أقطع (٣)

امتيازات الدولة فى القطائع : و مع ذلك القدر لاتستثنى القطائع و لا أهل القطائع فى زمن الخلافة عن الاجراءات القانونية والضرائب

(١) المسوى ص ٢٠٥ (٢) لسان العرب ج ١٠ (٣) عمدة القارى ج ٦ ص ٣٦ .

الرسمية ، بل إن امتيازات الخلافة أكثر عليها من غيرها ، و لذا قال عمر : لنا رقاب الأرض (١) وقال على : إن أرضك فلنا (٢) و قال أبو حنيفة : إن نواحى دار الاسلام تحت يد إمام المسلمين (٣) و قال مالك : تصير الأرض للسلطان (٤) و قال القاضى أبو يوسف : فكل أرض أقطعها الامام مما فتحت عنوة ففيها الخراج ، إلا أن يصيرها الامام عشرية ، و ذلك إلى الامام إذا أقطع أحداً من أرض الخراج ، فان رأى أن يصير عليها عشراً أو عشراً و نصفاً أو عشرين أو أكثر أو خراجاً ، فما رأى أن يحمل عليه أهلها فعل ، وأرجو أن يكون ذلك موسعاً عليه فكيفما شاء من ذلك فعل (٥) و قال القاضى أبو يعلى : أما العشر فاقطاعه لا يجوز لأنها زكاة لأصناف يعتبر وصف استحقاقهم عند دفعها إليهم ، و قد لا يكون من أهلها وقت استحقاقها عند دفعها إليهم . . . .

و أما الخراج فيختلف حكم إقطاعه باختلاف حال مقطعه ، و له ثلاث أحوال : أحدها أن يكون من أهل الصدقة فيجوز . . . . و قال قوم لا يجوز ، و ثانيها أن يكون من أهل المصالح ممن ليس له رزق مفروض فلا يصح أن يقطعوه على الاطلاق ، و إن جاز أن يقطعوه من مال الخراج ، لأن ما يعطونه إنما هو من صلات المصالح . . . . وثالثها أن يكونوا من أهل فرض الديوان و هم الجيش فهم أحق الناس بجواز الأقطاع ، لأن لهم أرزاقاً مقدرة تصرف إليهم مصرف

(١) كتاب الاموال أحكام الارضيين فى إقطاعها (٢) أحكام القرآن ج ٣ ص ٥٣٢ .
(٣) المبسوط ج ١ ص ٩٣ (٤) المحلى ج ٨ (٥) كتاب الخراج لابى يوسف .

الاستحقاق ، لأنها أعواض عما أرصدوا نفوسهم له من حماية البيضة و الذب عن الحريم (١) .

و قال فى أرض الخراج : فلا يجوز رقابها تمليكا لأنها تنقسمهم على ضربين ، ضرب تكون رقابها وقفاً و خراجها أجرة ، و تمليك الوقف لا يصح باقطاع و لا بيع ولا هبة ، وضرب تكون رقابها ملكاً وخراجها جزية فلا يصح إقطاع مملوك لغير مالكه . . . و قد قال أحمد فى رواية الأثرم ومحمد بن حرب ، و قد ذكر له أن عثمان أقطع عبد الله و خباباً فقال « هـذا يقوى أن أرض السواد ليست بملك من هى فى يده فلو كان عمر ملكها من هى فى يده لم يقطع عثمان ، فقد نص على أنه لايجوز اقطاع رقبة مملوكة (٢) و قال العينى الشافعى : إن حكم الأراضى إلى الامام (٣) و قال صاحب الدر المختـار الحنفى : إن السلطان يجوز له مخالفة الشرط إذا كان غالب جهات الوقف قرى ومزارع فيعمل بأمره ، و إن غاير شرط الوقف لأن أصلها لبيت المـال (٤) و قال الشيخ ولى الله المحدث الدهلوى : و الأرض كلهـا فى الحقيقة بمنزلة مسجد أو رباط جعل وقفاً على أبناء السبيل ، وهم شركاء فيه فيقدم الأسبق فالأسبق ، و حق الملك فى الآدمى كونه أحق بالانتفاع من غيره (٥)

جواز استرداد القطائع للدولة :

يجوز للدولة أن تسترد القطائع لمـا ظهرت مخالفة الغاية أو نشأت طريقة هى أصلح لحصولها ، و أعم نفعاً لخـاصتهم و عامتهم لئلا تنقص

(١) الأحكام السلطانية للقاضى إلى ليلى . (٢) أيضاً (٣) عمدة القارى ج ٦ ص ٢٩ .
(٤) الدر المختار ج ١ (٥) حجة الله البالغة ج ١ .

المنافع و لا تضيع حقوق الرعية التى قد و جبت على الدولة .

ونحن نذكر طرفاً من الأمثلة فى ذلك أيام الخلافة : أقطع رسول الله ﷺ بلال بن الحارث المزنى مابين البحر والصخر ، فلما ولى عمر قال له يا بلال إنك استقطعت رسول الله أرضاً طويلة فقطعها لك ، و إن رسول الله ﷺ لم يكن يمنع شيئاً يسأله ، وأنت لاتطيق مافى يديك ، فقال أجل ، فقال فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه و ما لم تطقه وما لم تقوه عليه فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين ، فقال لا أفعل و الله شيئاً أقطعنيه رسول الله ﷺ ، فقال عمر والله لتفعلن ، فأخذ منه ماعجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين (١) .

(٢) أقطع عمر طائفة من الأرض ناساً سألوا أرضاً من أرض أنذر كيسان بدمشق لربط خيلهم فزرعوها فانتزعها منهم و أغرمهم لما زرعوا فيها (٢) .

(٣) أقطع عمر « بجيلة » ربع السواد ثم أخذه بعـد سنتين أو ثلاث سنين : عن قيس بن حازم قال كنا ربع الناس (يوم القادسية) فأعطانا عمر ربع السواد فأخذناه ثلاث سنين ، و فى رواية سنتين ، ثم وفد جرير إلى عمر بعد ذلك فقال عمر و الله لولا أنى قاسم مسؤل لكنتم على ما قسم لكم فأرى أن تردوه على المسلمين ففعل ، فأجازه عمر ثمانين ديناراً ، فأتت امرأة عن بجيلة يقال لها أم كرز فقالت لعمر : يا أمير المؤمنين إن أبى ملك وسهمه ثابت فى السواد ، وإنى لم أسلم

(١) كتاب الخراج لابى يوسف والخراج ليحيى باب التحجير (٢) كتاب الاموال لأبى عبيد باب الاقطاع .

فقال لها يا أم كرز إن قومك قد صنعوا ما قد علمت . فقالت إن كانوا قد صنعوا ما صنعوا فانى لست أسلم حتى تحملنى على ناقة ذلول عليها قطيفة حمراء ، و تملأ كفى ذهباً قال ففعل ذلك فكانت الدنانير نحواً من ثمانين ديناراً (١) .

لا يجب على الدولة الاسترضاء و تعويض القطائع .

و يجب على الدولة أن تتعهد أهل القطائع فى الناحية الاقتصادية ، و لكن لايجب عليها الالتزام بتعويض القطائع ، والاسترضاء لأهلها ، كما قال أبو بكر الجصاص فى واقعة جرير وأم كرز ، وكيف يكون ذلك باستطابة منه لنفوسهم ، و قد أخبر عمر أنه رأى رده على المسلمين ، و أظهر أنه لا يسعه غيره ، لما كان عنده أنه صلح للمسلمين ، و أما أمر المرأة فانه أعطاها من بيت المال لأنه قد كان جائزاً له أن يفعله من غير أخذ ما كان فى أيديهم من السواد (٢) ، وقال أبو عبيدة فى قسمة الأرضين أن عمر كان نفل جريرا و قومه ذلك نفلا قبل القتال و قبل خروجه إلى العراق فأمضى له نفله . . . . و لو لم يكن نفلا ما خصه و قومه بالقسمة خاصة دون الناس ألا تراه لم يقسم لأحد سواهم ؟ و إنما استطاب أنفسهم خاصة لأنهم قد كانوا أحرزوا ذلك و ملكوه بالنفل . . . . فلاحجة فى هذا لمن زعم أنه لابد للامام (أى فى قسمة الأرضين) من استرضائهم فكيف يسترضيهم وهو يدعو على بلال وأصحابه و يقول أللهم اكفنيهم فأى طيب نفس ههنا (٣) .

(١) كتاب الاموال ص ٦٢ ، ٦٣ وكتاب الخراج ليحى ، وأحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص٥٣١ ، ٥٣٣ (٢) أحكام القرآن للجصاص ج٣ ص٥٣١ ، ٥٣٣ (٣) كتاب الاموال ص٦٢

جواز المنع عن اقتناء الضياع : يجوز للدولة أن يمنع الناس فرداً أو جماعة عن ادخار المال و اقتناء الضياع لما رأت فى هذا المنع مصلحة للأمة كما قال عمر رضى الله عنه ، قال الطنطاوى الجوهرى : فلما كثرت الأموال فى أيام عمر و وضع الديوان فرض الرواتب للعمال والقضاة ، ومنع ادخار المال ، وحرم المسلمين اقتناء الضياع و الزراعة أو المزارعة لأن أرزاقهم و أرزاق عيالهم تدفع لهم من بيت المال ، و أيد هذه القاعدة عمر بن عبد العزيز ، وكان يتحدى ابن الخطاب بكل خطواته فقال : أيما ذمى أسلم فان إسلامه يحرز له نفسه و ماله ، و ما كان من أرض فانها من فيئ الله على المسلمين ، و أيما قوم صالحوا على جزية يعطونها فمن أسلم منهم كانت داره وأرضه لبقيتهم (١) .

جواز إلغاء المكية أو تحديدها : وهكذا يجوز للدولة أن تلغى المكية أو تحددها مع تعويضها تعويضاً مناسباً ، أو تعضد صاحبها فى فى الناحية الاقتصادية من بيت المال لما رأت ضرراً يعود على الأمة أو بدت لنا طريقة هى أصلح لحصول الغاية المنشودة قال الله تعالى : « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » أى لا يكون المال متداولا بين طبقة الأغنياء وحدهم و لا يجد الآخرون من هذا المال ما يقضون به حاجاتهم الضرورية .

و عن أبى سعيد الخدرى : قال بينما نحن فى سفر مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل على راحلة فجعل يضرب يميناً و شمالا ، فقال رسول الله ﷺ من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ،

(١) نظام العالم والامم ج ٢ ص ١٨٣ ، ١٨٤

و من كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له قال فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل (١) .

و عن عثمان رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصال ، بيت يسكنه ، و ثوب يوارى به عورته ، وجلف الخبز والماء (٢) .

وقسم رسول الله ﷺ أموال بنى النضير على المهاجرين الذين فقدوا ممتلكاتهم حين هجرتهم ، و ترك الأنصار لأنهم يقيمون فى أملاكهم و لم يعط إلا ثلاثة منهم ، و قال للأنصار : إن إخوانكم من المهاجرين ليست لهم أموال ، فان شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعاً ، و إن شئتم أمسكتم أموالكم و قسمت هذه فيهم خاصة ، قال فقالوا لا بل تقسم هذه فيهم و أقسم لهم من أموالنا ما شئت (٣) .

ومنع عمر الجيش الفاتح من الاستيلاء على حقه فى الغنيمة أوالفيئ فى أرض العراق و الشام ، مع أنها من حقه و قال : قد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها ، و أضع عليهم فيها الخراج و فى رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئاً للمسلمين المقاتلة والذرية ، ولمن يأتى من بعدهم أرأيتم هذه الثغور لا بدلها من رجال يلزمونها ، أرأيتم هذه المدن العظام كالشام و الجزيرة و الكوفة و البصره و مصر لا بد لها من أن تشحن بالجيوش و ادرار العطايا عليهم فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرضون و العلوج (٤) .

(١) رواه مسلم (٢) رواه الترمذى (٣) كتاب الخراج ليحيى ص ٣٤ (٤) كتاب الخراج لابى يوسف فى الفئ والخراج

و قال عمر : إن عشت إنشاء الله ليؤتين كل مسلم حقه حتى يأتى الراعى بسر و حمير و لم يعرق جبينه (١) .

و قال : لو استقبلت من أمرى ما إستدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء و قسمتها على الفقراء (٢) .

و قال محمد بن على ابن طالب : إن الله تعالى فرض على الأغنياء فى أقواتهم بقدر فقرائهم فان جاعوا أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء وحق على الله تعالى أن يحاسبهم ويعذبهم (٣) فذلك كلها حفظا للتوازن المالى و العدل الاجتماعى .

احترام الملكية لها حد :

لا شك أن الملكيه « و هى الأمور المباحة » لها احترامها ولكن التوازن المالى والعدل الاجتماعى بين الطبقات أهم من احترامها ، قال ابن حزم : وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك (٤) و المصلحة العامة مقدمة على مصالح الأفراد ، قال القضاء يتحمل الضرر الخاص لأجل دفع الضرر العام وأعظم ضرراً يزال بالأخف : و درء المفاسد أولى من جلب الصالح : و إذا ضاق الأمر اتسع ، و إذا اتسع ضاق : و يفتقر فى الدوام ما لا يفتقر فى الابتداء ، و يفتقر فى الابتداء ما لا يفتقر فى البقاء : و كل ما تجاوز عن حده انعكس على ضده : وتصرف الامام على الرعية منوط بالمصلحة (٥)

(١) كتاب الاموال ص ١٥ .
(٢) المحلى لابن حزم ج ٦ ١٥٨ (٣) أيضاً (٤) أيضاً
(٥) الاشباه والنظائر

و غيرها من الكلية التى تهدى إلى حل مشاكل كثيرة ، و توسيع الشريعة لكل جديد نافع ، و قد نص أحمد على جواز القطائع التى أقطعها الصحابة ، وتوقف عن قطائع غيرهم من الأئمة و إنما توقف فى ذلك لأن منهم من أقطع ما لا يجوز إقطاعه (٦) و قد بين ذلك بتفصيل فى كتاب « النظم الزراعى فى الاسلام »

استدراك

جاء فى مقال « القطائع فى الاسلام » المنشور فى العدد ٣ المجلد ١٢ فى الصفحة ٥١ « و أنكر الملكية المطلقة فى الأراضى و الأموال المنقولة ، و أقر بالملكية المطلقة للفرد »

و الصواب هكذا : « و أنكر الملكية المطلقة فى الأراضى و الأموال المنقولة فان الملكية المطلقة للفرد أو الجماعة هى أساس الاقتصاد المادى فى المذهب الاقطاعى والشيوعى . . . »

(١) للاحكام السلطانية للقاضى إلى يعلى فى أحكام القطائع .

الجنسية فى الشريعة الاسلامية

الدكتور عبد الكريم زيدان

إن الجنسية أداة للتعبير عن انتساب الفرد إلى دولة معينة ، ذلك الانتساب الذى يعنى قيام رابطة قانونية و سياسية بين الفرد و الدولة .

و هذا المفهوم للجنسية عرف فى الشريعة الاسلامية و إن لم يطلق عليه الفقهاء اصطلاح الجنسية ، و الدليل على هذا أن الدولة عرفت فى الشريعة الاسلامية كدعوة إلى اقامتها و كدولة واقعة بالفعل و هى التى سماها الفقهاء دار الاسلام ، كما أن عناصر الدولة من شعب و إقليم و حكومة توافرت فى الدولة الاسلامية « دار الاسلام » .

والأفراد و هم المكونون لعنصر الشعب يوصفون بأنهم من « أهل دار الاسلام » أى من تبعة الدولة الاسلامية ، كما يوصف الحربيون بأنهم من أهل دار الحرب أى من تبعة دار الحرب .

و هؤلاء الأفراد مرتبطون بالدولة ارتباطاً خاصاً لا يشبه ارتباط الفرد بالفرد ، لأن الدولة الاسلامية ليست فرداً وانما هى منظمة سياسية ، كما لا يشبه ارتباط الفرد بالأمة لأن الأمة و إن لم تكن فردا إلا أنها ليست منظمة سياسية .

فرابطة أفراد شعب دار الاسلام بهذه الدار رابطة سياسية لأن

الدولة الاسلامية ، و هى منظمة سياسية ، طرف فيها ، كما أن هذه الرابطة قانونية لأن آثاراً قانونية تنتج عنها و يلتزم بها الفرد و الدولة ، وهذه الآثار هى الحقوق التى يتمتع بها الفرد فى ظل الدولة ، والواجبات التى يلتزم بها قبلها .

ومن هذه الحقوق ، الحقوق العامة ، والحقوق السياسية ، و من التزاماته نحوها التكاليف المالية .

و قد ذكر الفقهاء هذه الحقوق و الواجبات ، كما ذكروا الأحوال التى تنفصم فيها هذه الرابطة « الجنسية » بين الفرد و الدولة الاسلامية مثل ردة المسلم ولحاقه بدار الحرب .

فرابطة الجنسية بمفهومها الحديث عرفت فى الشريعة الاسلامية كنتيجة حتمية لوجود الدولة الاسلامية التى تحرص الشريعة على اقامتها و بقائها . وكل ما فى الأمر أن فقهاء المسلمين لم يسموا هذه الرابطة باسم الجنسية ، وعدم التسمية لا يعنى عدم وجود هذه الرابطة بين الفرد و الدولة الاسلامية .

من يتمتع بالجنسية الاسلامية و أساسها :

الشريعة الاسلامية تجعل المسلمين أمة واحدة قال تعالى « وإن هذه أمتكم أمة واحدة و أنا ربكم فاعبدون » و قال تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله » .

و أساس كونهم أمة واحدة هو وحدة العقيدة التى تجمعهم حتى و لو اختلفوا فى الجنس أو اللغة أو غير ذلك مما يختلف فيه الناس ،

لأن عنصر العقيدة الاسلامية يغلب هذه الاختلافات و يصير المسلمين إخوة فى الدين « إنما المؤمنون إخوة » إلا أن انتساب المسلم إلى المسلمين كأمة يعتبر من قبيل الروابط الاجتماعية لا السياسية ، لأن الأمة وحدة اجتماعية لا سياسية ، و لكن الشريعة الاسلامية لاترضى أن يبقى المسلمون أمة فقط وإنما تدعوهم إلى التحول إلى تنظيم سياسى أى إلى هيئة سياسية منظمة أى إلى دولة ، لأن أغراض الاسلام لا تتحقق كما ينبغى ، و أحكامه لا تنفذ كما يجب إلا بقيام هذا التنظيم السياسى للمسلمين .

و لهذا اقترن هذا التنظيم السياسى مع تكوين الجماعة الاسلامية الأولى ، فما ان استقر الرسول ﷺ و أصحابه فى المدينة حتى بدأ عليه الصلاة و السلام بتكوين الدولة الاسلامية الأولى ، و هكذا تحولت الجماعة الاسلامية الأولى إلى هيئة سياسية أى دولة اسلامية فيها جميع عناصر الدولة الاسلامية ، و صار للفرد المسلم رابطة جديدة بالمسلمين لا على أساس أنهم أمة وحسب و لكن على أساس أنهم وحدة سياسية أى دولة .

و هذه الرابطة هى رابطة سياسية و قانونية ، طرفاها الفرد المسلم والدولة الاسلامية فهى رابطة الجنسية كما تسمى فى الوقت الحاضر ، وأساس هذه الرابطة ، بالنسبة للمسلم ، هو الاسلام ، أى كون الشخص مسلماً يجعله أهلا للانتماء إلى الدولة الاسلامية و التبعية لها و الارتباط بها قانوناً . فكل مسلم ، إذن يتمتع بجنسية دار الاسلام على أساس توافر الصفة الاسلامية فيه ، و لهذا « فالاسلام يعتبر فى وقت واحد عقيدة و جنسية ، و المسلمون فى أى مكان كانوا يعتبرون إخوة فى العقيدة

و الجنسية » .

هل يتمتع الذمى بالجنسية الاسلامية ؟

المسلمون فى الأصل هم أهل دار الاسلام ، ولكن قد يسكن معهم الذميون والمستأمنون لأن الاسلام لا يمنع المسلمين من مخالطة غير المسلمين و لا يمنع هؤلاء من الاقامة فى دار الاسلام .

وقد صرح الفقهاء أن الذميين من أهل دار الاسلام ، ففى البدائع « و الذمى من أهل دار الاسلام » و معنى هذا : أن الذميين يعتبرون من أفراد شعب دار الاسلام ومن تبعة هذه الدار ، فهم إذن مرتبطون بالدولة الاسلامية بما يسمى برابطة الجنسية ، و هذا واضح فكما أن قول الفقهاء إن المسلمين من أهل دار الاسلام يفيد أن المسلمين من تبعة هذه الدار و يحملون جنسيتها ، فكذلك قولهم إن الذميين من أهل دار الاسلام يفيد أن الذميين من تبعة هذه الدار و يتمتعون بجنسيتها .

و قال الأستاذ أحمد طه السنوسى : ان الذميين لا يتمتعون بالجنسية الاسلامية ، و حجته أن الذميين لا يتمتعون بنفس الحقوق التى يتمتع بها المسلمون ، و لا يلتزمون بنفس التزاماتهم . فالحقوق السياسية يتمتع بها المسلم و لا يتمتع بها الذمى . و الجزية يلتزم بها الذمى دون المسلم ، و الزكاة تجب على المسلم دون الذمى ، و هذا كله يدل على أن الذمى لا يتمتع بالجنسية الاسلامية لأنه لو تمتع بها لترتبت له حقوق و فرضت عليه واجبات شبيهة بالتى للمسلم أو عليه ، كما هو الحال فى الدول الحديثة التى تساوى بين مواطنيها فى الحقوق والواجبات .

و الواقع أن هذا القول ضعيف ، فالدولة الاسلامية تأخذ بقاعدة المساواة فى الحقوق والواجبات بين المسلم و الذمى ، و لكنها تستثنى من

هذه القاعدة بعض الحقوق والواجبات لابتنائها على العقيدة الدينية ، و من هنا جاء التفاوت ببعض الحقوق و الواجبات بين المسلم و الذمى .

و لكن هذا لا يعنى أن الذمى لا يتمتع بالجنسية الاسلامية ، لأن الدولة ، حتى فى وقتنا الحاضر ، قد لا تساوى بين رعاياها الوطنيين - وكلهم يتمتعون بجنسيتها - فى بعض الحقوق لا سيما الحقوق السياسية ، و مع هذا يظلون متمتعين بجنسية الدولة ، و لم يقل أحد أن عدم تمتع هذا الفريق من رعايا الدولة ببعض الحقوق دليل على عدم تمتعه بجنسية الدولة .

فالمواطنون فى الدول الحديثة « هم الأفراد الذين يتمتعون بجنسية الدولة ، و ذلك بغض النظر عما يكون بين بعضهم والبعض من التفاوت فى الحياة القانونية الداخلية ، و خاصة من وجهة الحقوق السياسية » . فالتفاوت فى الحقوق والواجبات بين الوطنيين مسألة داخلية لا تؤثر على تمتعهم بجنسية الدولة .

أساس الجنسية الاسلامية بالنسبة للذمى :

ذهب البعض إلى أن أساس الجنسية الاسلامية بالنسبة للذمى هو التزامه أحكام الاسلام ، و قال البعض الآخر ، إن الذميين يتمتعون بما يمكن تسميته بالجنسية الاسلامية بناء على الاقامة غير الموقوتة فى دار الاسلام ،

و لكن يرد على القول الأول أن التزام أحكام الاسلام بالنسبة للذمى يرجع إلى عقد الذمة كما صرح الحنفية ، أو يرجع إلى عموم

ولاية الشريعة الاسلاميه فى دار الاسلام و امكان تنفيذها فيها ، كما أن المستأمن يلتزم أحكام الاسلام مدة مقامه فى دار الاسلام ، و لا يصير بهذا الالتزام ذميا من تبعة هذه الدار .

و يرد على القول الثانى أن الأقامه غير الموقوتة تترتب على عقد الذمة ، فهى بعض آثاره ، كما أن المستأمن قد يقيم فى دار الاسلام مدة غير محدودة إذا لم يحدد الامام مدة اقامته و لم يأمره بالخروج ، و مع هذا لا يصير ذميا من أهل دار الاسلام .

و الذى أراه أن أساس جنسية الذمى هو عقد الذمة بالنسبة لمن يدخل فى الذمة عن طريق العقد الصريح ، و هذا صريح أقوال الفقهاء ، من ذلك ما قاله الامام السرخسى فى مبسوطه : « لأنه بعقد الذمة صار من أهل دار الاسلام ، أما فى غير هذه الحالة ، أى بالنسبة لمن يدخل فى الذمة عن طريق القرائن الدالة على رضاه ، أو بالتبعية لغيره ، أو بالغلبة و الفتح ، فان أساس الجنسية هو ارادة الدولة الاسلامية نفسها ، فهى التى تمنح الذمة — الجنسية — لغير المسلم ، فى هذه الحالات ، بمحض ارادتها و تقديرها و فقاً لقواعد الشريعة . و ماتقتضيه مصلحة الدولة .

الجنسية الأصلية و الجنسية اللاحقة :

إذا اكتسب الذمى جنسية دار الاسلام فى لحظة ولادته فهى جنسية أصلية ، و إذا اكتسبها بعد ولادته فهى جنسية لاحقة و تتصور الجنسية الأصلية للذمى فى حالة ما إذا ولد للذمى ولد فان هذا المولود يتبع أباه ، فى الذمة من لحظة ولادته ، فيكتسب جنسية دار الاسلام ، و إذا كان

للذمى ولد صغير عند ارتباطه بعقد الذمة ، فان ولده الصغير هذا يتبعه فى الذمة أيضاً ، فيكتسب جنسية دار الاسلام و تكون هذه الجنسية فى حقه جنسية لاحقة ، وكذلك الزوجة ، تدخل فى الذمة تبعاً لزوجها أو إذا تزوجت ذميا ، فتكسب جنسية دار الاسلام وتكون هذه الجنسية بالنسبة لها جنسية لا حقة .

فقد الجنسية :

يفقد الذمى جنسيته إذا قام بما تنتقض به الذمة كما لو لحق بدار الحرب ، إلا إنه ما دام لم يظهر منه ما تنتقض به الذمة فان الدولة الاسلامية لا تملك نزع الجنسية عنه .

جنسية المستأمن :

المستأمن أجنبي عن دار الاسلام و ليس من أهلها ، إذ هو من دار الحرب وإن دخل دار الاسلام بأمان موقت لقضاء حاجة ثم يعود إلى وطنه ، و بهذا صرح الفقهاء فقالوا : « المستأمن من أهل دار الحرب و إن دخل دار الاسلام لا بقصد الاقامة بل لعارض حاجة ثم يعود إلى وطنه » و فى شرح السير الكبير : « فأما المستأمن فلم يصر من أهل دارنا ، لأنه ليس من أهل دار الاسلام وإن كان فيها صورة .

● إن الاسلام دين الفطرة يشمل جميع جوانبها دون استثناء ، فلا يركز على جانب و يهمل بقية الجوانب كما أن الاسلام يساير الفطرة فى جميع جوانبها ، ويعطيها غذاءها الحق ، فما كان ثابتاً أعطاه تشريعات ثابتة تفصيلية لا تتغير لأنها تواجه أموراً لا تتغير فى حياة البشر ، وما كان منها متغيراً أعطاه إطاراً عاماً

دراسات وأبحاث

بروى

ثابتاً ، و يدع للأجيال المتعاقبة - كل حسب نضجه و تطوره و صورة مجتمعه - أن يملأ الاطار الثابت بالتشريع المتطور ، و من ثم تكون الشريعة ثابتة ، و الفقه دائم النمو لمواجهة حاجات الناس .

أنظر ص ٦٨

دراسة وتحليل

التطور والثبات فى الحياة البشرية

تأليف : الأستاذ سيد محمد قطب الشهيد

نشر ابن الخطيب حلب

الكتاب ذو أهمية بالغة لما للموضوعين الهامين اللذين يبحثهما من التباس و شكوك كثيرة داخل النفس البشرية ، و ما لهذين الموضوعين أيضاً من خطورة شديدة بالنسبة للمفهومات الحالية للحياة .

و المؤلف ليس جديداً على هذا الموضوع ، فقد بحث التطور والثبات أكثر من مرة (١) دون تفصيل ، ولكنه إدراكاً منه لحيوية هذا البحث الفريد عول على أن يبحثه من كافة الجوانب و الزوايا ، و جاء بهذا الكتاب الجامع الذى تناول بمجمله قضية التطور فى مواجهة قضية الدين .

يتألف الكتاب من مقدمة و أحد عشر فصلا .

افتتح المؤلف كتابه مبيناً العلاقة بين التطور و الثبات ، التى يراها التطوريون ، فالتطور ضده الثبات ، وما دام الدين يمثل الثبات . كثبات الاله و العقيدة و الدين و القيم و التقاليد ، فانه لابد أن ينشأ الصراع

(١) أنظر كتاب «قبسات من الرسول» فصل «أنتم أعلم بأمور دنياكم» ، وكتاب «معركة التقاليد» فصل «جولة مع التاريخ» ، و «حقائق وأباطيل» ، وكتاب «دراسات فى النفس الانسانية» فصل «الثابت والمتطور فى كيان الانسان» .

بينهما ، و هذا ما حدث فعلا بشكل سافر فى عصر النهضة الأوروبى ، كما يحدث الآن على وجوه متباينة فى الشرق الاسلامى .

فى الفصل الأول (عصر التطور) تناول المؤلف تاريخ التطور فى أوروبا و مراحله بدءاً من الحروب الصليبية حيث بدأت العقلية الأوروبية فى الحركة والتطور ، ولم تلبث أن اصطدمت بمفهوم ثبات الكنيسة و إلهها حسب ما سبق ، بعد أن زادت خرافات الكنيسه و طغيانها من حدة هذا الثبات .

و أخيراً حدث الصراع الذى لا بد منه بين مفهوم النهضة أو مفهوم التطور ، و مفهوم الدين أو مفهوم الثبات ، و كان بطل هذا الصراع المدمر العنيف (دارون) عند مانشر كتابيه « أصل الأنواع » عام ١٨٥٩ ، و « أصل الانسان » عام ١٨٧١ ، و كان من نتيجة هذا الصراع أن حلت فكرة التطور محل فكرة الثبات .

و أصبحت للتطور الصولة بعد ما حدث الانقلاب الصناعى الذى رافقه نشوء النظام الرأسمالى ، وكان أن ترتب على هذا أن اشتغلت المرأة إلى جانب الرجل لتكسب قوتها بعد أن تخلى عنها ، و اشتغل الأطفال أيضاً ، و بالتالى تفككت روابط الأسرة - تبعاً لتحرر المرأة والرجل - و تغير المجتمع تغيراً جذرياً فى كافة الميادين المختلفة .

ثم جاء العلم فأكمل صورة التغير ، و برزت فكرة محاربة الله عن طريق محاربة الثبات بكل الوسائل ، و أخيراً جاءت الصهيونية العالمية فخطمت - متعمدة - قواعد الدين والأخلاق على يد علمائها الأفذاذ الثلاثة (ماركس و فرويد و دركايم) .

ثم يأتى الفصل الثانى (اليهود الثلاثة ماركس و فرويد ودركايم) ليبين المؤلف المعين الذى نهل منه هؤلاء الثلاثة و وسعوه وعمموا فساده و سمومه تحت ضوء العلم ، و هدى التطور ، إنه النظرية الداروينية بايحائها : التطور الدائم ، و حيوانية الانسان أو ماديته ، ثم يبين المؤلف العوامل التى أدت إلى قيام الانحراف الذى أحدثوه وهى نظرية دارون ، و الانقلاب الصناعى و العلم .

فهذا ماركس الاقتصادى ينفى وجود الدين أصلا لأنه : أفيون الشعوب وصنيعة الاقطاع - على حد قوله - و ما الرسالات السماوية إلا وهم من الأوهام البشرية . . أما القيم و الأخلاق و التقاليد . . فهى انعكاسات للأوضاع الاقتصادية - أى متطورة - ليس لها أى وجود ذاتى . . (كذا) .

و هذا فرويد النمساوى الذى فسر الانسان تفسيراً حيوانياً بحتاً يقول : « الحياة كلها جنس ، و منبثقة من خلال الجنس ، و الجنس يولد مع الانسان منذ الصغر » . .

أما دركايم الاجتماعى فقد زاد عما أخذه صديقاه من نظرية دارون فكرة القهر الخارجى ، يقول دركايم :

« إن الدين ليس فطرياً وكذلك الزواج والأسرة ، كما أن القواعد الخلقية لا وجود لها فى ذاتها . . » .

و يختم المؤلف هذا الفصل متسائلا : هل حقاً صورة الحياة فى القرن العشرين أحدثها التطور ؟ ! ! أو هل هى صورة جديدة أنشأها العلم ، لم يسبق أن عرفتها البشرية ؟ ! !

فى الفصل الثالث (شهادة التاريخ) يتابع المؤلف فيجيب على سؤاله من خلال شهادة التاريخ الصادقة التى تقول :

إن ما يسمى تطوراً خلقياً فى القرن العشرين ناشئاً من التقدم العلمى و الصناعى و الاجتماعى . . ليس شيئاً فريداً فى التاريخ ، و إنما كان له شبيه من قبل هذا الشبيه هو الامبراطورية اليونانية وخليفتها الامبراطورية الرومانية .

فى الامبراطورية اليونانية كانت المرأة - قبيل ازدهار الحضارة اليونانية - محتقرة ، مهضومة الحقوق . . هذا بالنسبة لبنات البيوت ، فما بالك بالنسبة لنسوة الحانات ؟ ، و عندما ازدهرت الحضارة اليونانية تحركت المرأة و نالت حقوقها كاملة ، أصبحت ترث و تبيع و تشترى و تتزوج و تطلق ، إلى أن طغت المادة فنزلت إلى الشوارع متبرجة ، وأصبح السادة لا يرون غضاضة فى الذهاب إلى بيوتات الدعارة والفجور - بعد أن كانوا يحتقرون من يدخل إليها عداكرههم المرير للنساء اللواتى فيها - ليحضروا مجالس الطرب و الأدب و السياسة ، و يتمتعوا برؤى تماثيل النحت الفاجرة الخليعة .

ووصل الفجور إلى حد جعل الفلاسفة و الحكماء و علماء الأخلاق لا يرون فى الزنا و ارتكاب الفحشاء غضاضة يلام عليها المرء و يعاب ، و قلت أهمية عقد الزواج بعد أن كانوا يولونه أهمية عظمى ، و قداسة عليا لدوام الحياة الزوجية ، و لم يكتف العلماء و الفلاسفة بهذا فقط بل دعوا دعوة صريحة إلى ارتكاب الفحشاء و علناً بدون ضابط ! ! !

هذه هى صورة الحياة الاجتماعية عند اليونان ، و كان مثلها عند

خلفائهم الرومان ، وهى نفسها الآن فى القرن العشرين ! صحيح أن صورة الحياة قد تغيرت ، و لكن هل تغير الانسان ؟ و هل تغيرت ألوان نشاطاته و دلالة مناشطه و أعماله ؟ . .

و فى الفصل الرابع (الثابت و المتطور فى كيان الانسان) أخذ المؤلف يستشف حقائق النفس البشرية و عناصرها : إن فى النفس الانسانية عناصر متطورة ، و عناصر ثابتة مهما تشدق الماديون و على رأسهم ماركس ودركايم فى إلغاء تلك العناصر الثابتة ، وتعاموا عنها كحب الحياة و المآكل و المشرب و الجنس و المسكن و الملكية . . كلها ثابتة فى نفس الانسان ضمن فطرته الثابتة ، و طبيعته التى جبل عليها ، و هى إن تغيرت صورها و أشكالها فهى فى جوهرها أو نزعتها ثابتة صامدة فى نفس الانسان .

أما عن العناصر المتطورة فللتطور أنواع ، منها :

تطور الآلات و الأدوات ، والتطور فى التشابك الاقتصادى و الاجتماعى والتطور النفسى (السيكلوجى) و التطور الأخلاقى . . إن مرد تلك التطورات كلها فى نهاية المطاف إلى الفطرة ، و إن الفطرة شئ ثابت رغم تعدد الأشكال و الصور ، و تطورها على الدوام .

ثم ينهى المؤلف فصله بأن التطور المطلق المزعوم ارتكاس إلى الحيوانية و انحراف عن الفطرة البشرية ، و يحيلنا إلى شهادة القرن العشرين حتى نتأكد من ذلك .

يتابع المؤلف فى الفصل الخامس (شهادة القرن العشرين) حديثه عن الانحرافات والآثام التى اقترفها أفراد هذا القرن ، من كفر و إلحاد

و اختلاط و تحرر و انسلاخ عن المكرمات ، و ما آل إليه أهل هـذا القرن من ضغوط عصبية و نفسية ، و انتحار وجنون ، وشذوذ وجريمة و دمار و هستيريا ، تلك الانحرافات التى اعترف بها علماؤهم وساستهم و فلاسفتهم قبل غيرهم ، و حذروا منها و أنذروا ذلك الجيل المهدد بالدمار .

إن هذا التحلل الخلقى ليس تطوراً ، و إنما هو انحراف ضار بالكيان البشرى ، و إن هناك فطرة للانسان ثابتة تتأذى من كل شئ ينافيها ولا يلائمها ، ومقياس الأخلاق الذى تقاس به الأمم و حضاراتها و سبب ازدهارها أو انحطاطها ثابت ثبات الزمان .

فى الفصل السادس (الاسلام و حياة البشرية) يبين المؤلف نظرة الاسلام الشاملة العادلة نحو الثبات و المتطور فى كيان الانسان : إن الاسلام دين الفطرة يشمل جميع جوانبها دون استثناء ، فلا يركز على جانب ويهمل بقية الجوانب ، كما أن الاسلام يساير الفطرة فى جميع جوانبها ، ويعطيها غذاءها الحق ، فما كان ثابتاً أعطاه تشريعات ثابتة تفصيلية لا تتغير لأنها تواجه أموراً لا تتغير فى حياة البشر ، وما كان منها متغيراً أعطاه إطاراً عاماً ثابتاً ، و يدع للاجيال المتعاقبة - كل حسب نضجه و تطوره و صورة مجتمعه - أن يملأ الاطار الثابت بالتشريع المتطور ، و من ثم تكون الشريعة ثابتة ، و الفقه دائم النمو لمواجهة حاجات الناس .

ثم يعلن المؤلف عن موقف الاسلام من التطور . . إنه موقف معروف و بديهى ، إنه لا يعيق التقدم - الذى لا يتعارض مع الفطرة -

بل يدعو إليه ، و يحض عليه ، و الآيات و الأحاديث على ذلك كثيرة جداً ، كما أنه لا يكتفى بهذا فقط بل يوجه هذا التطور إلى الخير لاستعماله فى البر و الانسانية عكس ما يستعمل الآن . . .

بعد ذلك ينتقل المؤلف إلى الفصل السابع (الاسلام والرجعيات) و يحدد كلا من الرجعية و الاسلام ، فالرجعية هى كل انحراف عن الفطرة البشرية ، جاء الاسلام ليقوم انحرافها و اعوجاجها ، و مقياس التقدمية و الرجعية هو طبعاً الانسان أو الفطرة البشرية ، و ليس التقدم العلمى والنظم الحديثة . . كما نطق بذلك أحد علماء الغرب ، هو الدكتور الكسيس كاريل فى كتابه « الانسان ذلك المجهول » : « يجب أن يكون الانسان مقياساً لكل شئ ، و لكن الواقع هو عكس ذلك » (١)

إذن فالرأسمالية الفردية ، و الشيوعية الجماعية رجعيتان ، و دليلنا شهادة القرن العشرين .

أما الاسلام - كلمة الله للبشر أجمعين - فان له نظرة عادلة نحو الفرد والمجتمع . . إنه يضع الفرد فى كفة ، والمجتمع فى كفة أخرى ، فى ميزان الله العادل ، و يوازنهما بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر .

أما فى الفصل الثامن (نحن والغرب) فينتقل المؤلف إلى تصحيح مفهوم خاطئ قد استغلق على أذهان الكثيرين فى الشرق والغرب ، ترى هل « نظافة بلا دين » (فى الغرب) ، و « دين بلا نظافة » (فى الشرق) كلام صحيح ؟ ! ! .

ينبرى المؤلف - بحجته الواضحة و حسن مناقشته وإقناعه - ليقول

(١) ص ٤٢ من الترجمة العربية للكتاب .

إن هذا الكلام خطأ ، لا يثبت للتمحيص .

إن أوروبا قد اكتسبت النظافة فى المعاملة و الاستقامة فى كل شئ عدا عن المنهج التجريبى فى العلوم ، كل ذلك اكتسبته أوروبا من الشرق إبان الحروب الصليبية ، و على ذلك تكون الأخلاق الأوروبية كلها من أصل دينى مسيحى و إسلامى على السواء .

و فى منتصف القرن التاسع عشر وقت الجفوة والعداء بين الدين والحياة ، وكان من نتيجة ذلك أن أقصى الدين بعيداً عن الحياة الأوروبية و أصبحت فعلا « نظافة بلادين » إلا أن هذا كان طوراً له نتائجه الحتمية ، انفصلت السياسة عن الأخلاق و تبعها انفصال الجنس أيضاً ، و نشأت العصابات التى أخذت تنخر فى بناء الأمم الغربية ، عصابات لأغراض شتى وأهداف متباينة ، منها للخطف والنهب والسرقة والاجرام و الحشيش و الأفيون و تيسير الطلاق . . على أن أخطر شئ هو الاستعمار ، كل تلك الأمور ليست حالات فردية - كما صرح بذلك بعض الغربيين - إنما هى ظاهرة اجتماعية آخذة فى الازدياد ، وستطيح بالحضارة الغربية غداً ، إن عمر الدول و الحضارات لا يقاس بالسنين و لكن يقاس بالأجيال .

فأسطورة « نظافة بلادين » يجب أن تتحطم لأنها مرحلة من مراحل الانزلاق البطيئة . و كذلك أسطورة « دين بلا نظافة » إنها لا تزيد على أنها تهجم تبشيرى و استشراقى مباشر على الاسلام ، و لكن هل نحن مسلمون ؟

إننا مسلمون و لكن بأسمائنا ، و بالأرض التى سكنها المسلمون

الأوائل ، إننا مسلمون ولكن « بالهوية » بدليل واحد يكفى ، هو أن الاسلام لا يحكم من واقعنا شيئاً ، بدليل أن الاسلام لا يتدخل فى حياتنا ويحكمها من جميع جوانبها المختلفه كما هو مفروض أن يكون « فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليماً » (١) إن الاسلام لا يتعدى عبادات يقوم بها الفرد المسلم من صلاة و صيام و حج و تسابيح صحت أو لم تصح .

فى الفصل التاسع (انحرافنا وانحرافهم) يبين المؤلف سبب انحرافنا و انحراف الغرب ، إن انحرافنا نشأ من ابتعادنا عن الاسلام ، أما انحرافهم فسببه هذا الفصام النكد بين الانسان والله ، و الدين والحياة ، و الروح و المادة ، و الدنيا و الآخرة ، و الواقع و المثال ، والنظرية و السلوك ، و كان من جراء هذا الفصام نتائج حتمية كانت السبب فى نشوء الفساد ، أهمها : نشاط الصهيونية العالمية لتحطيم الأديان ، و قيام الانقلاب الصناعى فى ماديته الباغية ، و خروج المرأة عن فطرتها إلى أتون المعامل ، و ضوضاء المتاجر و الشوارع ، و تسخير العلم فى الشر و تشويه صورة الانسان ، و التكالب الجنسى . .

ثم يبين المؤلف الفرق بين انحرافنا و انحرافهم :

الأول هو أننا نملك أساساً للتقويم هو الاسلام ، بينما الغرب لا يملك ذلك الأساس .

و الثانى هو قيام الفصام النكد فى الغرب .

فى الفصل العاشر يتكلم المؤلف عن (مستقبل البشرية) إن الشر

---

(١) سورة النساء ٦٥ .

قد طغى ، و استفحل أمره ، و سنة الله على الأبواب ، إن البشرية تقف اليوم على مفترق طريقين لا ثالث لهما :

إما طريق الدمار و الخراب و الهلاك . . و هو الذى يسير عليه الغرب ، وإما طريق الحضارة والقوة والازدهار ، وهذا يكون بالرجوع إلى حقيقة الاسلام .

ويتفاءل المؤلف كعادته بعودة البشرية إلى الله - رغم كل الصعوبات فالعلماء أنبياء البشرية اليوم ، قد بدأوا يحسون بوجود خالق مدبر لهذا الكون العجيب ، و صيحات الخطر و الانذار تنطلق من أجمع أنحاء المعمورة توحى برجوع هذا المخلوق الضعيف إلى الله ، كما أن القارعة ، و الدمار المتفشى . و الحرب الذرية . . ستجعل البشرية تنقاد بفطرتها إلى الله . .

أخيراً ينهى المؤلف كتابه بالفصل الحادى عشر محدداً (دور المسلمين) الذى أمرهم الله به ، إن عليهم أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس ، و يكونوا شهداء على الناس و قادة للبشرية ، و لكن كيف . . و بأى طريقة ؟

يجب أن يعرفوا الاسلام ، وأن يعيشوه فى واقع الحياة ، وينموا الفقه ، الفقه الاسلامى ليتماشى مع متطلبات الحياة الحاضرة ، و يحكم كل جزئياتها ، و فى أثناء ذلك هم فى حاجة إلى التعرف على علم الغرب كله ، و أسباب قوته المادية من تنظيمات و بحوث و خبرات .

حتى يستعيدوا حاستهم العلمية الأصيلة ، التى فقدوها فى الأجيال الأخيرة و يشاركوا مشاركة حية فعالة ، على طريقتهم الاسلامية النظيفة

فى تلك التنظيمات و البحوث و الخبرات .

كل ذلك يحتاج إليه المسلمون أولا حتى يؤدوا دورهم للبشرية . وهو جهد ضخم شاق و لكنه مع ذلك ضرورى ، ضرورى للمسلمين أنفسهم لكى يعيشوا على مستوى الانسان كما علمهم الله بالاسلام ، الانسان المتنور المتحضر المتوازن النظيف المتطلع إلى الأمام . وضرورى كذلك للبشرية لكى ترى النموذج الواقعى الحى للفكرة النظيفة السليمة فتتبعها راضية .

و صفوة القول . . أن المؤلف كان موفقاً جداً فى عرض موضوعات كتابه العديدة ، و استطاع - بحق - أن يلائم بين الدين و التطور ، و يجمعهما بحيث لا يتجافى أحدهما عن الآخر ، كما استطاع أن يزيل الشكوك - شكوك العقيدة - و يزيل الالتباس - التباس التطور - . . كل هذا بأسلوب على رصين لا يخلو من سحر البيان . و روعة الكلام ، امتاز بالاحاطة و الشمول ، و التفصيل و التوضيح ، و المناقشة و الاقناع . . و رحم الله المؤلف الشهيد . و جزاه عن الاسلام و المسلمين خير الجزاء ، و نفعنا الله بعلمه و عبقريته ، و صبره على الشدائد و حلمه إنه سميع مجيب .

● الأدب سلاح من صميم الحياة ، إنه يصور ما فى هذه الحياة من أفراح و أتراح وآلام وأحلام ، إنه يهز أوتار القلوب و يوقظ المؤهلات النائمة و يلهب الجذوة الكامنة ، إنه يبنى ويهدم ويصلح و يفسد ويصدق ويكذب فليكن هذا السلاح فى

فى رياض الشعر والأدب

أيدى المؤمنين الأبرار الأطهار أولى الأيدى والأبصار يضعونه فى خدمة الدعوة يلعب دوره العظيم بين الآداب الجاهلية الجنسية المحترفة التى طغت فى البلاد فأ كثرت فيها الفساد .

عالم الجب

شعر - محمد بهار

(من مذكرات شاعر فى « جب يوسف »)

قفى ، قفى ياعربه
الدرب دهليز ، طويل الرقبه
يسلكه الناس . . فرادى ، ذاهلين
يقتحمون العقبه ،
أم يعبرون العتبه ؟
قفى ، ارجعى يا عربه
لقد نزلنا الحلبه
ثيران غاب متعبه
ما للهواء ينحبس
فى الصدر . . فى كل نفس
منصدئاً ،
كأنه من قعر قبر ينبجس
آه . . أرى جدرانا !
م مسلخا يقصب الانسانا ؟
ماهذه الحلقات ، ماهذى الحفر
تحوطها الهالات - بثست من صور
تروى لنا أوجاع من غبر
من وردوا يوماً سقر
ما هذه الظلمة فى وسط النهار ؟
الكهرباء تصنع النهار
و تصنع العذاب فى الجدار
أخبرنى الجدار
والحلقة الحالكة الاطار
و الشبح العالق فى الجدار
متصلبا ، منفلت الازار
يرعده شرار
ينطحه جدار
يمسكه جدار
ما هذه العصى و الحبال !
ما ذلك الدولاب !
ما هذه السطور فى الحيطان ،
ذكرى فلان و فلان
من عالم الأكفان
تمد كفا ، تدفع النسيان

آه . . أنا انهيار
كلى انهيار
الرأس فى دوار
القلب فى انفطار
لا يذكر الموتى سوى الأموات
لا يسمع الشكوى سوى هذى الرفات
الرأس فى دوار
أهكذا . . أيتها الأقدار
أثمرت بعد الانتظار ؟
أثمرت غيلان مرارات و نار
الرأس فى دوار
ياأيها المدار
أما ترى يصرعنا التيار ؟
يأخذنا جدار
يلفظنا جدار .
يا أيها المدار
در دورة أخرى
در دورتين
عجل بنا
خذنا - فلا أشقى و لا أضرى
من هذه الدنيا

ما أعذب الوفاة
لو تسمع الوفاة !
لا عدت بعد اليوم . .
للدار ، للأهلين ، للصحاب !
الشوق ، كيف الشوق ، مات
العطف ، أين العطف ؟ ، مات
الأمس يا للأمس ، مات
و اليوم - بئس اليوم - يستطيل
بالدم . . كالوحول
شاطئه الماضى الكليل
و الشاطئ الثانى
- ما أطول الثوانى . .
جماجماً تهيل -
الشاطئ الثانى !
لا جسر للعبور
لا خيط للنجاة . . للأمل
ما أقبح الشطآن و الأنهار . .
فى الأرض والخيال .
ما أتعس الحياة !
ما أعذب الوفاة !

كلام فارغ

تمثله مشاهد أربعة

الأستاذ أبو بكر الحسنى

المشهد الأول :

انعقد المجلس الثورى بعد أن حصلت على استقلالها ، و تحررت من نير الحكم الأجنبى ، و اشترك فى مداولاته جميع أعضاء الثورة و ترأس هذا المؤتمر قائد الثورة ، وقف القائد و ألقى كلمة قال فيها :

أيها السادة : اجتمعنا اليوم لرسم خططنا نحو تحقيق السعادة للشعب الذى عانى منذ قرون . . الشعب الذى تكبد الآلام و المتاعب تحت سيطرة أجنبية لم ترحم و لم تعطف ، فعانى الشعب الجوع ، و الجهل و المرض ، و الاستعمار لعب خلال سيطرته دوراً فظيعاً ، عذب أفراد شعبنا الكريم الباسل بأصناف العذاب ، وأحلهم دار البوار ، إننا لانطيق الآن ما لاقيناه من التعذيب والتنكيل على أيدى ظالمة فاننا قد صممنا على تصفية الاستعمار بجميع أشكاله ، إننا سنقضى على الاقطاعية و التحزبية و الشعوبية ، و نوحد صفوفنا و نتحد ، حتى يسهل لنا تحقيق أمانى شعبنا و نزيد دخلنا و نستخدم مواردنا وطاقاتنا لرخاء الشعب ورفاهيته .

هذه هى السياسة الداخلية . . . إنها ستقوم على أساس العدل و المساواة و تكافؤ الفرص للجميع ، و ستتجه سياستنا الخارجية نحو

الصداقة مع جميع الدول الكبرى ، و شعارنا الحياد الايجابى ، والتعايش السلمى .

و مضى القائد يقول :

إننا لن نخضع لنفوذ أى بلد مهما كان كبيراً ، و لا نتقيد بأى شروط سواء ساعدنا بلد أو لم يساعد ، فاننا خلقنا أحراراً ونعيش أحراراً و نموت أحراراً .

أيها الأعضاء الكرام : إن الطريق أمامنا وعر ، لابد أن نزيل العقبات ، و نحل المشاكل ، ونجهد بكل ما لدينا من قوة لتحقيق هدفنا ، و إنجاز مطالحنا و أمانينا . . . فهل توافقون . . .

الأعضاء : آمنا و صدقنا .

المشهد الثانى :

تنعقد الجلسة الثانية بعد فترة بحضور جميع أعضاء الثورة برئاسة القائد ، يخطب القائد ، و يقول :

أيها السادة : إننى صرحت أمامكم فى الجلسة الأولى سياستنا الداخلية و الخارجية ، و إنكم كنتم قد وافقتم على السياسة التى رسمتها و قدمتها إليكم فى ذلك الوقت . .

و تبعاً لتلك السياسة ، كما تعرفون ، و جهت نداء إلى الاذاعة و الصحف لتقوما بدورهما فى هذا العمل ليسهل لنا ما نهدف إليه من إنجاز الانتصارات المنشودة .

فمما لا شك فيه ، أن الاذاعة تقوم الآن بدور فعال ، و كذلك الصحف تنتقد الاستعمار و الرجعية و الشعوبية و الاقطاعية و ما يتعلق

بها بانتقادات لاذعة ، و بكلمات صريحة لا هوادة فيها و لا مداهنة — فكلما أبدى الشر أنيابه كسرتها ، و كلمات مدت الرجعية يدها قطعتها .

إعلموا أيها الأصدقاء : أن الرجعية هى أكبر أعدائنا ، و هى ممثلة فى مختلف الأشكال ، تقول الرجعية : هذا حلال وهذا حرام ، هذا مباح ، و هذا غير مباح ، هذا يجوز و هذا لا يجوز ، قيدت الرجعية حياتنا الحرة بقيود و أغلال - العالم اليوم يتطور بسرعة ، ونحن نعيش فى هذا العالم المتغير المتطور ، فاذا نظرنا وراءنا ، ومشينامشى النملة ، وجدنا أنفسنا فى صفوف متخلفة ، ندفع بهذا التأخير ثمنا باهظا و نخسر كثيراً ، فالأجدر بنا أن نتقدم بخطى سريعة ، نقضى على الأقطاعية والرجعية معاً ، و نسلك مسلك الغرب قائد الأمم ، نتخذ خطوات مماثلة فى جميع الميادين السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية .

أيها الأبطال : لا بد أن يمنح الشعب حرية الدين ، حرية الفكر ، حرية القول ، حرية العقل ، و لكن بشرط أن لا تخالف هذه الحرية الهدف الذى وضعناه نصب أعيننا و الأغراض التى نريد أن نحققها ، أيها الزملاء : إننى أثق بأنكم قد فهمتم كلامى ومحتوى خطابى ، فاذا ساعدتمونى فى هذه المهمة الجليلة فكأنكم ساعدتم البلاد فى تحقيق أمانيها و أهدافها . . .

الأعضاء : أنت قائدنا و أنت منقذنا ، فلك الطاعة .

المشهد الثالث :

انعقدت الجلسة الثالثة بعد أن استقرت البلاد ، و أحرزت بعض التقدم فى الميادين السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية .

فقوبل القائد العظيم بحفاوة بالغـــة و وقف يخطب بين الهتافات والتصفيق ، أيها السادة الكرام ! اجتمعنا اليوم بعد مدة طويلة لنستعرض ما أحرزناه من التقدم خلال هذه المدة ، و ما لاقيناه من العراقيل التى جاهدنا فى إزالتها ، الواقع أن هـذه البلاد قد أحرزت فى مدة قصيرة تقدما ملحوظا فى جميع الميادين - و على الأخص فى رفع مستوى معيشة سكانها وإزالة الفقر ومحو الجهل ، فان المجلات ، كما تشاهدون ، معمورة و المقاهى و المطاعم و الكازينوات ، ودور السينما والمسارح كلها مفتوحة طوال الليل يسهر الناس فيها ، و يتمتعون بكل أنواع من الترفيه ، و يقضون أوقات فراغهم فى الحدائق و البساتين والنوادى الليلية يمرحون و يغتبطون و يتذكرون أيام ألف ليلة و ليلة . . .

لا فرق بين فتى و فتاه ، و لا شاب ولا شابة ، كلهم يختلطون بعضهم ببعض فى الطرق والشوارع ، وعلى شواطئ النهر وسواحل البحر ، يتحادثون و يتسامرون و ينفقون ولا يبخلون ، يلبسون ملابس فاخرة ، و يتزينون بزينات مستوردة و محلية ، و لا يأتى إليهم هم و لا كرب . حياة رغيدة سعيدة .

أما المؤامرات التى دبرتها بعض المنظمات السرية تحت عنوان الاصلاح الاجتماعى ، فانى قد قضيت عليها قضاء مبرما ، أعدم بعض قوادها ، وحبس بعضهم بأعمال شاقة مؤبدة ، فلاعودة للرجعية والرجعيين .

المشهد الرابع

سائح يمر بأحد الشوارع و يسمع كلام الناس ، يقول صاحب لرفيقه أنا تعبت من هذه الأعمال بل من الحياة . . الحياة كلها تعب . . فسدت

الأخلاق ، تفشت الرشوة ، الأسعار مرتفعة والغلاء فى ذروته ، فوضى فى كل مكان ، فى المحاكم ، فى المصالح ، فى المعاهد ، فى المؤسسات فى المنشآت حتى فى البيوت نفسها ، لا يطيع ولد أباه و لا يحترم أخ أخاه ، و لا يراعى جار جاره ، و لا يكرم طالب معلمه ، ولاينفذ موظف أوامر المدير . . كل يسير على مزاجه فتى كان أو فتاة ، طفلا أوطفلة ، صغيراً أوكبيراً . . . و يحكم هذه البلاد قائد عسكرى أعطى ضمانات . . . ألف ضمان ، فأين الضمانات ، المجتمع فى فساد . . . فساد فى السياسة ، و فساد فى الاقتصاد ، فساد فى الثقافة . . .

يسمع السائح الأجنبى هذا الكلام و يستغرب فانه قد شاهد بعينه المقاهى والبارات المكتظة بالمتفرجين المنغمسين فى الشرب والأكل والتكلم سمع النكت و الضحكات . . . كذلك رأى السيارات الفخمة ، والمبانى الشامخة و أمثالها . . .

يمر السائح بمختلف الطرق والشوارع والمحلات ، و يطوف بأرجاء المدينة ، حتى يتوقف فى إحدى الأسواق . . . وهناك يسمع كلام الناس . . . و يصغى إليه فاذا رجل يقول لآخر . . . ما هـذه الحياة ؟ هل ترضى بها . . . النساء عاريات كاسيات يتبرجن تبرج الجاهلية ، ولايتهمن بأمور البيت ، و لم يبق لهن عمل سوى تزوير الجمال ، تسربت الفوضى إلى كل مكان . . . كل متضايق ، انهيار تام ، و كيف التخلص ، و ما السبيل ، الانتقاد ممنوع . . . والصراحة ممنوعة ، نحن كالبغال والحمير و الغنم نطيع كما تطيع هذه المواشى . . .

الحكومة فسدت . . . فسدت كل العناصر هـذه المبانى ،

والسيارات والمجلات كلها مظاهر ، ودعايات لتضليل الأجانب و المواطنين المغفلين .

ألا ترى أحوال السكان المحليين ، و الأوضاع الفاسدة فى القرى و المديريات ، و يوجه بعضنا اللوم إلى الغرب لهذا الفساد ، هل هذا صحيح . . . أبداً . . . أبداً .

إن سبب هذا الفساد كله مما لا شك فيه هو الانحراف الدينى . . . الدين هنا مظلوم . . . القرآن مظلوم . . . و السنة مظلومة ، مقومات الحياة متروكة والقيم الروحانية مفقودة ، و الأخلاق الاسلامية ممقوتة ، فهل يمكن أن نجنى عنباً من شجرة تنبت زقوما ، و ثمراً من شجرة تنبت شوكا ؟ كلا . . . !

تغلبت المادية التى أنتجت الفساد و الانحلال ، و الأمراض العصبية والنفسية والشذوذ العقلى والجنسى ، أصبح الانسان حيواناً فماتت الانسانية و ذهبت الأقدار و القيم ، و ظلت الأمة تشقى و تشقى . . . . ، إلى متى ، لا يعلمه إلا الله ، و الله المستعان .

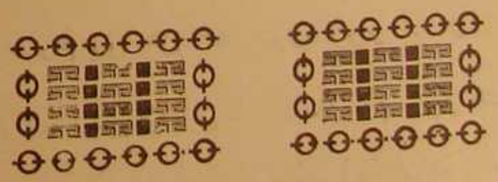

- المرأة ربة البيت ومعلمة الجيل وزميلة الرجل .
- وهى أم و زوج و بنت و أخت ولها فى كل هذه الجهات مسؤليات و تبعات ، إنها لا تزال تقدر على إنجاب خالد و طارق و عمر بن عبد العزيز و صلاح الدين إذا التزمت دينها وعفتها وطهارتها و كانت من القانتين .

المرأة

- فلا تغرنها هذه الأضواء والضوضاء ، وهذه المساحيق و العطور و الزينات وتلك الفنون الجميلة ومسابقات الجمال ، و تلك الشراسة باسم الحرية ، و الوحشية و القسوة باسم الانطلاق ، ولننظر إلى ما آلت إليه المرأة فى الغرب « المظلم المتنور » من بؤس وشقاء و حرمان و عذاب وإهانة وإسفاف « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب »

هذه هى المرأة الغربية

فضيلة الأستاذ محمد ناظم الندوى
شيخ الجامعة العباسية بهاولپور سابقاً

قالوا : إن أفضل ما فى الحياة العائلية فى الغرب أن الفتاة مستبدة بأمر زواجها ولها الخيار كل الخيار فى شؤون نفسها ، لا يفتات عليها فى أمر نكاحها و لا تقبل فتى كزوج لها إلا إذا أحبته وأشرب قلبها هواه ولاءمها فى الأخلاق و الغرائز و وجهة الأنظار و أمور الأهواء . . . أوضح حكماء الغرب هذه الفكرة قائلين :- لازواج من دون حب متقدم و غرام سابق ، و لا تستطاب الحياة العائلية ما لم يكن بين الزوجين رابطة الحب و المؤدة و ما لم تتأجج فى قلوبهما نار الهوى والغرام وما لم تتقدم عقد الزواج تجارب عديدة لأجل الحياة الجديد القابلة .

آمن بهذه الفكرة المجتمع الغربى و جعلها قوام الحياة العائلية وملاك أمر النكاح . . . خرجت الفتاه الغربية متبرجة ، و قد زهاها الحسن أن تستتر ، تسعى نحو المقاهى و المطاعم تغشاها ليل نهار تبغى طلبتها و تغادى وتراوح دور التمثيل تطوف حولها علها تجد بغيتها ، و تختلف صباحا مساء إلى المتنزهات والأسواق الكبيرة تبحث عن منشودها وأمنية نفسها تسرح بصرها فى طلعات الفتيان وتتوسم قسمات وجوههم ، فمن كان أبهى طلعة و أشرق وجها وأرشق قداً و أنضر حلة سعت وراءه تخادنه و تتقرب إليه أو يتودد إليها هو ويتقرب منها إن كانت وضيئة وسيمة

هذه تتصنع و تتبرج و تتغنج وذلك يتخلق ويتسخى ويتكرم - يساقيان كئوس الغرام فى سكرة من الشباب الملتهب يبيتان ليالى ساهرة فى الملاهى والمطاعم والمقاصف يقضيان مآرب الشباب ولبانات الفواد المعذب . لايحول بينهما أخلاق المجتمع و لا يمنعهما وازع من الدين ، يجربان تجارب متنوعة ، و يقتربان ليعلما أسرار أنفسهما و ليدركا كنهما وليستفيدا بذلك فى الحياة القابلة التى يستأنفانها بعد أيام قلائل .

و بينما هما كذلك إذ تخبره خليلته بأن الغرام قد بلغ غلواءه و عدا طوره و أن الحب قد تجسم حيا كائنا و أنها سوف تصبح أما قبل أن تكون زوجة و هى لا تزال خليلة و لم تعد بعد حليلة تخاف على نفسها من الفضيحة فان كان فى فتاها الخدين شئ من المروءة رضى عنها زوجة و تم بينهما عقد الزواج - و إلا تركها سادمة نادمة تبكى حظها و تلوم نفسها - يقضيان بعد عقد الزواج شهوراً فى هناء و غرام و عالم من أحلام يجدفان سفينة الحياة الجديدة بمجداف من الهوى تمخر بها عباب البحر الهائج المتلاطم ، ثم لايلبثان أن يعود البحر إلى طبيعته من الهدوء ، والرجل إلى خلقه وغريزته ويبدو منه ما فيه من الشراسة فى طبعه و الفظاظة فى خلقه ، و الشح بماله ، مما يبعد بينهما ، إن التخلق يأتى دونه الخلق ، يشبع أحدهما من صاحبه أو كلاهما قد تمل نفوسهما الحياة الجديدة التى لم تعد بعد حبيبة شهية ، و قد شربا ما فى الكأس حتى الثمالة . و انتهيا إلى صبابتهما ، ثم تتطلع إلى من يكون أجمل منه وجها ، و أبهى طلعة ، و أثرى مالا ، وأرشق قدا - أو يتطلع هو إلى أخرى أوضأ منها وجهة و أروع طلعة ، حينئذ يبدأ الشجار يطلع رأسه ، و الشر يلتهب أواره ، و تنقلب البيئة الهادئة

إلى جو مليئ بالنزاع والخلاف ، كل منهما يرمى صاحبه باخلاف الوعد و سوء العشرة و الخيانة ، هذا يقذفها بالفرية و تلك تقذع له القول افتعالا اختلاقاً من عند نفسيهما ، أو صدقا وحقاً و أمراً واقعاً ، - يقول أحدهما أن صاحبه قد تغير عما عهده أيام أوائل الحب و مستهل الغرام لم يعد بعد ذلك الحبيب الدمث الأخلاق الجميل الشمائل - يرعى منازعه اللطيفة أو يهتم بعواطفه الرقيقة ، يشكو صدوده ، و يتألم من إعراضه حتى يفضى بها الخلاف إلى أن تنفصم عروة الزواج وتنحل عقدة النكاح - ثم ينطلق كل واحد منهما إلى ساحة الهوى والغرام يبحث عن صيد مديد و ما أمرهما إلا كريشة فى مهب الريح طائرة - لاتستقر على حال من القلق ، و يجرب كل واحد منهما عشر مرات ، هذه تجرب عشرة رجال و هذا يجرب عشر نسوة - فى كل فصل من الربيع تزدهر الحياة عن تجربة جديدة - و إن كنتم فى ريب مما قلت آنفاً فاقرأوا ما ينشر فى مجلات أوروبا و أمريكا و جرائدها من أنباء الطلاق و أخبار الخلع و القضايا المرفوعة إلى المحاكم العدلية ، إن الستين فى المأة من عقد الزواج ينتهى أمرها إلى الطلاق ، وفسخ النكاح ، و التخلص من الحياة العائلية الأليمة ، و ذلك يرجع إلى ما اتخذه الغرب من النظرية فى الأخلاق و ما أباحه فى أمر الزواج ، يرى الغرب أن الزواج لايسعد صاحباه إلا إذا تقدم عقده الحب و الغرام و إذا سبق النكاح عهد التجارب و التحاب و التواد - و اجتاز كل واحد منهما بمراحل الأتلاف و الاختبار أياماً بل شهوراً و يكون كل واحد منهما حراً طليقاً يحدف سفينته فى بحر من الحب هائج متلاطم ، و الأمر

الواقع أن كلا منهما غمر غر لا يعلم من الحياة إلا ظاهرها و لا يلمس منها إلا نشرها دون لبابها ، لا يجلى بعيونهما إلا جمال الوجه و وضاءة الطلعة وحسنة القوام و رشاقة القد أو ثراء المال ، ينخدع كل منهما بما يبدو من صاحبه وقرينه من التصنع و التخلق والتكرم أيام يستأنف حياة الحب و الهوى - و يحاول كل منهما أن يخفى ما فيه من سوء الخلق و شراسة الطبع و يكتم ما فيه من الفظاظة و الأثرة و الفجور والخديعة . أوطبع عليه من الخبابة و الشح بالمال .

و لو عالج فى الغرب أمر الزواج من هو أكبر منهما سنا وأكثر تجربة لأمور الحياة البشرية و لم يكن فى الغرب من الفوضى الخلقية والخروج على أحكام الدين القويمة ، كما يجرى الأمر فى المجتمع الاسلامى فى الشرق لم يؤل أمر الزواج فى أوروبا وأمريكا إلى ما آل إليه اليوم و لم تكد الحياة العائلية فيها ينهار بنيانها و ينهدم دعامها .

لاشك أن الآباء هم أكثر تجربة لأمور الحياة وأكثر علماً بأخلاق الأسر و البيوتات و أكثر معرفة بأخلاق الفتيان والفتيات ، وقد اجتازوا بهذه المرحلة من الحياة ليعلموا ما تكن صدور الفتيان و الفتيات و ما تضمره قلوب الشبان و الشواب من المنازع والعواطف ومايستهوى قلوبهم ومايصبى نفوسهم من جمال الطلعة ورشاقة القد . وروعة الهندام ، إن الآباء ليسوا من النوكة الذين يجهلون بنزعات النشء وعواطف الفتيات و الجوارى الحديثة السن ، بيد أنهم لا يملكهم هذا الجانب من الحياة العائلية ولا يذهب بهم عن الناحية الخليقة من الحياة البشرية فهم يهتمون بالأمرين كليهما و لا يغفلون الناحية الخلقية من نواحى الحياة البشرية التى هى قوام سعادة البيت و ملاك الحياة العائلية .

إن ما تتمتع به الأسر الاسلامية و البيوت الدينية فى الشرق الاسلامى من سعادة فى الحياة العائلية و ما يوجد فيها من وفاق و وئام و ما فيها من مؤدة و رحمة و سلام بين زوجين يرجع إلى أن الزوجين يعلمان أن كل واحد منهما حين يجد فى صاحبه ما يكرهه أو لا يحبه يجد فيه ما يحمده و يحبه . . . و إن كل واحد منهما ينظر إلى الحياة نظرة جد و كأمر واقع و لا يعيشان فى عالم من أحلام ، كل واحد يريد أن يعاشر صاحبه بالحسنى ، بغض بصره عن كثير من أمور صاحبه مما لا تخلو منه حياة بشر - فيسعى أن يكون سعيدا بصاحبه ، إن تغاضبا صباحا فالى وفاق و صلح ينتهى أمرهما مساءآ - يسامحان و يستطيبان العيش ، لا يستطيب العيش إلا المسامح . . الوفاء لصاحبه و الاخلاص له هما الرائدان لهما فى الحياة ، لا يخون أحدهما صاحبه و لا يطمح ببصره إلى غيره . . ذلك لأن الدين الاسلامى ينهاه والمجتمع الاسلامى يروعه و البيئة الطاهرة النقية التى لا تزال متماسكة دعائها تمنعه وصيت الأسرة و سمعتها يحول بينهما إذا هم أحدهما بما لا تحمد عقباه . . و لأن كل واحد ينظر إلى رابطة النكاح نظرة احترام و تبعة و يعدها وسيلة إلى بناء أسرة جديدة واعداد راحة و سكينة ويشعر بمجامع قلوبهما بما عليها من الواجبات العائلية لا ينظر إليها كوسيلة إلى المتعة وحدها و اشباع النهم ، وقضاء لبانات النفس و مآربها فحسب .

أيها القارىء الكريم ! هذه امرأة غربية كادحة شقية تساير الرجل و تقاسمه أحماله و تلائمه فى هواه ويراددها الرجل عن نفسها و يخادعها ، و تكابد ما تكابد من متاعب الحياة مجهودة معناة ، وتلك امرأة مسلمة مخدومة مكرمة ربة البيت مقضية الحاجة تتمتع بالراحة والسكينة ، قارن بينهما بالعدل ثم قل ما تشاء فيهما و فضل من تشاء منهما على الأخرى .

● العالم الاسلامى أسرة هذه الفئة المؤمنة المنتشرة فى الكرة الأرضية كلها وهبت نفسها لله وآمنت بوعده ، و صدقت بكلماته و وضعت مكاسبها و مواهبها و مؤهلاتها فى سبيل الدعوة ، فتلاشت لديها كل هذه الفروق و الفواصل و الحدود والقيود و الألوان والأوطان ، التى يتغنى بها أهل هذا الزمان « ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين » يلتقى فيها العربى مع الأخ الهندى والباكستانى والأفغانى والتركى والاندونيسى ، يشارك بعضه بعضاً فى آلامه و مسراته و شدته ورخائه ، ويشد ازر أخيه فى مشكلاته وأزماته امتثالا لأمر الله تعالى ، والمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

العالم الإسلامي

بقلم

محنة المسلمين فى بورما

الأستاذ عبد الباسط - كراتشى
تعريب : سعيد الأعظمى الندوى

المسلمون فى « أركان » Arakan (بورما) يمرون بمحنة شديدة للحفاظ على كيانهم و وجودهم فى هذا البلد ، ونستطيع أن ندرك ذلك فى ضوء الحقائق التالية :

١— فى شهر أبريل ١٩٦٧ قامت جنود الحكومة البورمية بتشريد ألفى مسلم من السكان المستقلين فى بورما من مدينة « بوتى دونج » ولم تسمح لهم بأخذ أى شئ من مرافق الحياة عند خروجهم من بيوتهم ، و لم يعلم إلى الآن من مصيرهم شئ إلا أن بعضهم شوهدوا على ثغور باكستان الشرقية تائهين على وجوههم من هنا إلى هنا ، يطلبون مأوى ليسكنوا إليه ، و طعاماً يسدجوعهم .

٢— و فى شهر مايو ١٩٦٧ طردت الحكومة ١٦ مأة من السكان المسلمين من منطقة أكياب (AKYAB) وحدها ، و ألقتهم على ثغور باكستان حيث يسكنون فى العراء ، و نشرت جريدة Working People Daily . فى عددها الصادر فى شهر مايو ١٩٦٧ أنهم باكستانيون ، ولكنهم فى الحقيقة من سكان بورما الذين يحملون معهم بطاقة الجنسية البورمية .

٣— و فى شهر يونيو ١٩٦٧ طردت الحكومة البورمية السكان

المسلمين من المناطق الأخرى لمديرته « أكياب » و منها « كوكتيو » و « مينبيا » و « مائى هونغ » ، وقد استوصل إلى الآن ثلاثة عشر ألف مسلم من المناطق المذكورة أعلاه بدون أن ينظم لهم شئ من حاجات الحياة و مطالب السكن و الغذاء .

٤— إن المسلمين من « ماونجدى » و« بوتى دونج » من شمالى « أركان » لا يسمحون بالقدوم إلى أى جزء آخر منها ، أو جزء داخلى من بورما بدون الحصول على إذن من الحكومة بالرغم من أن أى مسلم لأى منطقة أخرى غيرها يأتى إلى شمالى « أركان » لا يواجه مانعاً من الحكومة .

٥— إن موجة المهاجرين من « كوكتيو » و غيرها من المناطق الأخرى لجنوبى « أركان » لم تتوقف إلى الآن ، و لا تزال مستمرة ، إن ذنبهم الوحيد أنهم تلكأوا فى ترك مسقط رأسهم ليس غير ، و قد اغتصبت الحكومة بطاقة جنسيتهم و الأسناد الأخرى التى تتعلق بوطنيتهم البورمية ، و زيادة على ذلك فقد أجبروا عن طريق القوة أن يصموا بابهامهم على ورق أبيض .

٦— و بما أن هؤلاء المسلمين لم يجدوا ملجأ يأووا إليه من المطر التجأ عدد كبير منهم إلى أبنية بعض المدارس فى « ماونجدى » وساعدهم المسلمون المحليون بطعام ، و لكن بالرغم من هذا الظرف القاسى الذى يجتازه المسلمون أمروا باخلاء هذه الأبنية التى شغلوها ، بيد أنهم رفضوا إخلاءها ، و كم منهم من يواجهون الموت لأجل حاجتهم إلى الأسعاف الطبى و الغذاء .

٧— فى ٦ يوليو ١٩٦٧ على الساعة الثالثة نهاراً حاول ضباط الحكومة المسلحون إخلاء مبنى المدرسة المتوسطة من هؤلآء اللاجئين بقوة ، فلم يستطع الرجال الذين أثيروا من قبل هؤلآء الضباط احتمال المعاملة الوحشية التى قام بها الضباط مع النسوة المحجبات فدافعوا عن أنفسهن بالمظلات و مقاعد المدرسة ، وهنالك قام بينهم وبين الضباط المسلحين صراع عنيف فأطلق الضباط النار و جرح عدد من اللاجئين . كما أصيب ضابط التسجيل لمديرية أكياب بجرح بالغ حتى حمل إلى مستشفى أكياب للعلاج .

و لما سمع الجنود صوت اطلاق النار جاؤا و أحاطوا بالمدرسة ، و قبضوا على ستة من المسلمين و زجوهم فى معتقل « ماونجدى » ولم يسمح لأى شخص أن يقترب إلى بناء المدرسة ويقدم طعاماً إلى أولئك اللاجئين المظلومين ، الذين يبلغ عددهم ما يقارب ألفى نسمة و أخرجوا من بناء المدرسة باستعمال القوة ، و حملوا على ناقلات السيارة و قيل لهم إنهم يعادون إلى بيوتهم ، و لكنهم تركوا على مسافة تبعد ١٥ ميلا من شرقى « ماونجدى » حيث يتيهون على وجوههم بدون مأوى و لا طعام ولا حيلة ، ثم منع التجول فى مدينة « ماونجدى »

و يبدو أن الحكومة تصمم على تشريد المسلمين من جميع أجزاء « أركان » و جمعهم فى « ماونجدى » أولا ثم إجبارهم على الخروج وراء ثغور باكستان و تحويل « أركان » إلى منطقة الأقلية المسلمة ، إن منطقة الأغلبية المسلمة لشمالى أركان حافلة فى هذا الوقت بالمهاجرين المسلمين الذى جاؤا إليها من المناطق الأخرى .

٨— و منذ حادث ٦ يوليو ١٩٦٧م تدفع الحكومة البورمية المسلمين

المشردين طائفة بعد طائفة من « ماونجدى » إلى باكستان عن طريق القوارب عبر نهر نيف (NAF) إنهم يحملون على هذه القوارب ويرسلون إلى باكستان سراً فى الليل ، وكل قارب محمول من هؤلآء المشردين ترافقه سيارتان للجيش المسلح إلى ثغور باكستان ، حيث ينزلهم الجيش المسلح ويتركهم هناك . وقد طرح ٢١ رجلا من المشردين إلى ساحل « جالايار » (Jaliapara) بعد مضى ليلة ٨ يوليو ١٩٦٧م .

كما ألقى ٤٨ رجلا و ٣٠٠ رجل من المشردين فى « كنداردل » و « بالوخالى » بالتوالى فى ٩ يوليو ليلا ، ثم ألقى ٧٤ رجلا و ١٠٠ رجل فى طائفتين إلى ساحلى « سبرنج » و « جودهرى بارا » ولكن باكستان دفعت جميع هؤلآء المشردين إلى بورما غير أن الحكومة البورمية استمرت فى إعادتهم إلى حيث جاؤا منه ، و عاد هؤلآء الأبرياء يدفعون كالكرة بين فرقتين من جانب إلى آخر .

٩— لقد أصدرت الآن الحكومة البورمية أمراً بالقاء القبض على الذين يساعدون المشردين بايصال الطعام إليهم ممن كانوا لاجئين فى مخيمات المدرسة فى « ماونجدى » و الحكومة تبذل الآن جهوداً بالغة فى البحث عن ١٦ و ١٧ مسلماً من الشباب و الشيوخ - و معظمهم من المثقفين - ممن كانوا يوصلون الطعام إلى هؤلآء اللاجئين .

بيان من المجلس التأسيسى
لرابطة العالم الاسلامى

● قضية فلسطين ● قرارات

فى ١٥ رجب ١٣٨٧هـ الموافق ١٨ أكتوبر ١٩٦٧م ، عقد المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى دورته التاسعه بمقر الرابطة فى مكة المكرمة برئاسة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس المجلس وبحضور معالى الشيخ محمد سرور الصبان الأمين العام و أصحاب السماحة و الفضيلة الأعضاء .

و قد تشكلت من المجلس عدة لجان فرعية للنظر فى الأمور المختلفه التى تحال إليها من المجلس لمناقشتها و دراستها وتحضير التوصيات اللازمة بشأنها .

و لقد درس المجلس التأسيسى نتائج بحوث اللجان المختصة و اتخذ قرارات حول القضايا الآتية :

أولا :— قضية فلسطين :

إن المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى قد انعقد فى دورته التاسعة بمكة المكرمة و هو يشعر بأن المسلمين فى هذه الظروف الحرجة أحوج ما يكونون إلى توحيد الكلمة وجمع الشمل و لم شتات الطاقات الاسلاميه المبعثرة والعودة إلى الله بمراقبته فى شؤنهم كلها و تقوية اليقين

فيه تعالى و الثقة به ثقة كاملة .

و يشعر المجلس التأسيسى بأن الكارثة الراهنة لم تكن إلا نتيجة للاعراض عن تعاليم الدين الحنيف والتفريط فى اتباع أحكامه و التخلق بأخلاقه و شيوع المنكرات و المفاسد بين المسلمين و الاستهتار فى حياة البذخ و الشهوة و التجاهر بما يغضب الله و رسوله من أعمال و أقوال وكل ما يفقد الأمة روح الصمود فى المقاومة والثبات على المبدأ والتصميم على احتمال الشدائد فى سبيل نصرة العقيدة والحق والكرامة حتى حرمت نصر الله وتعرضت للخذلان .

إن الكارثة الراهنة قد كشفت جوانب المؤامرة الصهيونية الواسعة و أهدافها البعيدة التى لا تقف عند الاستيلاء العدوانى على فلسطين بكاملها و إنما تتعدى ذلك إلى الكيد للاسلام و المسلمين و العمل على هدم كيان هذا الدين . و هى مؤامرة تعززها قوى دولية متعددة يجمع بينها الحقد على الاسلام و الحرص على استعباد المسلمين و نهب أوطانهم و ثرواتهم .

و مع أن هذه المؤامرة الواسعة لم تكن خافية على الكثيرين من ذوى البصيرة بين المسلمين و كان من الممكن اطفاء جذوتها من البداية باليسير من المجهودات . إلا أن الاهمال الطويل و التخاذل المقوت قد أعانا على امتداد هذه النار و تفاقم شرها حتى وصلت إلى مرحلة خطيرة تحتاج إلى جهود عظيمة .

و مع ما بلغته هذه المؤامرة المحكمة من نجاح و تمكين حتى الآن إلا أنه لا يزال بالامكان إحباطها و تخليص العالم الاسلامى من ويلاتها

قبل أن تزداد استفحالا و تفاقماً و يصبح القضاء عليها أمراً مستحيلا .
وإن ما جلبته الكارثة من عدوان غاشم على هذا الجزء العزيز من الوطن الاسلامى من تنكيل بالمسلمين تقتيلا و تشريداً و انتهاكاً للاعراض والحرمات ومالارتكبه العدو الغاصب من عبث بالمسجد الأقصى و المقدسات الاسلامية الأخرى .

كل هذه الأعمال الهمجية يجب أن تكون نذيراً للمسلمين جميعاً بالمصير المحتوم الذى ينتظر بلاداً إسلامية أخرى ويهدد أعظم المقدسات الاسلامية التى يظن بعض الناس أنها لا تزال بمأمن من تيارات الخطر ، مع أن زعماء العدو لا يفتأون يعلنون فى كل مناسبة أنها هى هدفهم البعيد تمشياً مع الخطة المرسومة التى ترمى إلى استئصال شأفة الاسلام و طمس معالمه و آثاره - لا قدر الله -

و لقد كان من أهم ما أعان على الوصول بالحالة إلى هذا الموقف الخطير ، أن الدول العربية عامة ولاسيما المحيطة منها باسرائيل قداشتغلت بخلافات و انقسامات عقائدية و شخصية امتصت من قواها و أضعفت من قدرتها على مواجهة العدو ، و قد ضاعف من خطورة هذا الانقسام تسرب المذاهب العقائدية و المطامع الدولية التى وجدت فى هذه الحالة مجالا مواتياً لتمزيق كلمة العرب و المسلمين و صرفهم عن القضية الخطيرة التى تهدد دينهم و تراثهم و أوطانهم .

إن المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة يرى من واجبه أن يذكر المسلمين حكاماً و شعوباً بحقيقة الخطر الماثل على ديار الاسلام ومقدسات المسلمين ، وأن ينذرهم جميعاً بأن مزيداً من الكوارث

يهدد البلاد الاسلامية إذا استمرت القضية تعالج بذات الأساليب التى عولجت بها حتى الآن .

وإذا بقى المسلمون على حالتهم الراهنة من الغفلة والتخاذل والخلاف و الضعف و عدم الجدية فى مواجهة هذا الخطر الكبير .

و يجب أن يدرك المسلمون أن قضية بيت المقدس و الأراضى المغتصبة فى فلسطين هى قضية اسلامية عامة مقدسة ، و إن الجهاد فى سبيل الله لانقاذ المسجد الأقصى و الديار المحتلة من أيدى المعتدين أصبح فرض عين على المسلمين جميعاً و لا يختص به شعب من شعوبهم دون الآخر .

ثانياً التضامن الاسلامى

ثالثاً مقام إبراهيم عليه السلام

رابعاً وحدة الوطن الصومالى

خامساً مساعدة المنظمات الاسلامية

سادساً تقرير الأمانة العامة :

(ألف) اذاعة صوت الاسلام

(ب) أراضى منى و لحوم الاضاحى

(د) مساعدة المراكز و المنظمات الاسلامية

أخبار اجتماعية وثقافية

- مؤتمر المجلس الاستشارى الاسلامى لولاية أترا پرديش .
- الاجتماع السنوى العام للجماعة الاسلامية .
- الجامعة الاسلامية بعليكره .
- عودة سماحة الأستاذ السيد أبى الحسن على الندوى .
- العدد القادم .

— انعقد مؤتمر المجلس الاستشارى الاسلامى لولاية أتراپرديش من ١٢ نوفمبر ١٩٦٧م فى « ميرت » (مدينة تقع بمقربة من دهلى) حضره عدد كبير من المندوبين من جميع أنحاء الولاية ، وقد استهدف المؤتمر مشكلات المسلمين فى هـذه البلاد و بحث فيها و خاصة مشكلة الاضطرابات الطائفية التى تحدث فى طول البلاد وعرضها فينة لأخرى ، و قد أبدى المؤتمر بصفة خاصة شعوره بالقلق الشديد لهذه الاضطرابات ، التى تدبر خطتها الأحزاب المتطرفة المتعسفة ، تحقيقاً لأغراض سياسية خسيسة ، ولابادة المسلمين عنصرياً من هذه البلاد لكى يخلو لها الجو ،

و قـد ألقى الدكتور عبـد الجليل فريدى رئيس المجلس لولاية أترابرديش كلمة قال فيها : إن المجلس الاستشارى الاسلامى ليس كسائر الأحزاب السياسية الأخرى ، وإنما تختلف جهوده عن جهود هذه الأحزاب و يجب على الجماهير المسلمة أن تتبنى برامج المجلس كحركة تهدف إلى خير الشعب المسلم و صلاحه و تخوض فى قضاياه و مشكلاته و تبحث لها عن

حلول عادلة فى ضوء الحقوق التى يمنحها دستور هذه البلاد ، كما رحب الدكتور فريدى باللجنة التى ألفتها الحكومة لتحقيق أسباب هـذه الاضطرابات و التفتيش عن عواملها وعناصرها .

و اتخذ المؤتمر عدة قرارات بخصوص قضايا الشعب المسلم و بعثها إلى الحكومة :

— نظمت الجماعة الاسلامية فى الهنـد اجتماعها السنوى العام فى مدينة حيدر آباد فى الأيام ١١ - ١٢ - ١٣ من نوفمبر ١٩٦٧م ، اشترك فيـه جميع أعضاء الجماعة و أركانها و المتصلون بها من أنحاء البلاد كلها .

و قد رأس الاجتماع فضيلة الأستاذ الشيخ أبى الليث أمير الجماعة الاسلامية فى الهند ، وألقى كلمة رئاسة ضافية تناولت أزمة البلاد وقضايا الشعب المسلم و مشكلاتهم الدينية و السياسية بإيضاح ، و حلها الناجع الوحيد الذى يقدمه الاسلام .

و انتهى ببرامجه الحافلة بنجاح ملموس .

— قررت الحكومة إعفاء السيد على ياور جنك مدير الجامعة الاسلامية بعليكره من منصبه الحالى وتعيينه سفيراً للهند لدى حكومة أمريكا .

و قد تلقى المسلمون فى أرجاء البلاد هذا النبأ بسرور بالغ ولكنهم لم يلبثوا أن واجهوا مشكلة أخرى فى اختيار الرجل الذى يشغل هذا المنصب الخطير ، وذلك لأن الحكومة هى التى تقوم بهـذا الاختيار ، و المعلوم لدى الجميع أن المدير الحالى على ياور جنك أول مدير لهذه الجامعة الاسلامية عبث بكرامتها و أدخل فيها تغييرات كبيرة مما يضاد

دورها و رسالتها وخصائصها وهو الذى جرح عواطف المسلمين فى طول البلاد و عرضها فى أمر هذه الجامعة .

ـ فى ٢٢ من شهر نوفمبر المنصرم عاد سماحة الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى و فضيلة الشيخ محمد منظور النعمانى من الحجاز بعد اشتراكهما فى دورة المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى وإسهامهما فى برامج المجلس التاسيسى التى استمرت عشرة أيام .

وقد مكث الأستاذ الندوى فى ربوع البلاد المقدسة أكثر من شهر زار خلاله المدينة المنورة والطائف واجتمع بكبار شخصيات العالم الاسلامى و رجالات المملكة السعودية وتبادل الآراء معهم وخاصة فى قضية فلسطين و الكارثة الحالية التى أصيب بها العالم العربى .

و قد انتهز رؤساء التحرير للجرائد و المجلات السعودية وجود الأستاذ فى المملكة فالتمسوا منه أن يتحدث حول الكارثة و الأسئلة التى كانوا يوجهونها إليه ، وقد تفضل الأستاذ بالرد عليها جميعاً ونشر فى الجرائد فكان حديثاً صادف آذاناً مصغية و قلوباً واعية .

العدد القادم

و هو العدد الخامس لهذه السنة يصدر ـ باذن الله ـ فى أول شهر فبراير ، فلا يترقب القراء المجلة فى شهر يناير القادم ، و ذلك بمناسبة حلول رمضان المبارك .